دُعاءُ اللهِ بأسمائِهِ الحُسنَى بينَ النَّظريّةِ والتَّطبيق
دراسةٌ عَقَدِيَّةٌ نَقدِيَّةٌ

راجح إبراهيم السباتين

مُلَخَّص

يُنـاقِشُ هـذا البَحثُ مسـألةَ دُعـاءِ اللـهِ تعـالى بأسـمائه الحُسـنى وصِـفَاتِهِ العُلا وانقسام هذا النَّوع من الدعاء إلى دُعاءِ ثَنَاءٍ وعِبادةٍ مِن ناحيةٍ وإلى دُعاءِ مَسـأَلَةٍ وطَلَبٍ مِن نَاحيةٍ أُخرى. كما يناقش هذا البحثُ مسـألةَ التّفريق بين دُعـاء الله تعـالى بأسـمائه وصفاته وبينَ دُعاء الصِّفَاتِ بِعَينِهَا. ويؤكِّدُ البحثُ أنَّ دعاءَ الله تعـالى بأسـمائه الحُسـنى وصفاته العُلا كان مَنهجَ النـبي - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - وسـابِقِيهِ مِن الأنبيـاء والرُّسُـلِ الكِرامِ في حياتهم وفي تعاملهم مع أقوامهم.

وأخيراً فإنّ هذا البحثَ يدعو إلى اتِّخَاذِ دُعاء الله تعالى بأسـمائه وصـفاته مَنهَجَـاً عَمَلِيّاً في حياة المُسلم ويؤكِّدُ على خطورةِ غيابِ مثل هذا المَنهَجِ عن حياتنا.

الكلماتُ الدالّةُ: الدُّعاء ، أسـماءُ الله الحُسـنى، الصِّـفَاتُ العُلا، دُعـاءُ الثَّنَـاءِ والعِبَـادةِ، دُعاءُ المَسأَلَةِ والطَّلَب.

Calling Allah with his most beautiful names between theory and practice
A creedy critical Study

Rajeh Ibraheem Al-Satabeen

Abstract

This paper discusses the issue of calling Allah with his most beautiful names and perfect adjectives. This kind of calling "Du'aa" consists of two parts: The call of praise and worship and the call of asking for needs and demands.

The paper also discusses the issue of the important difference between calling Allah and the calling his adjectives itself.

It also emphasizes that calling Allah with his most beautiful names and perfect adjectives was implemented by the prophet Mohammad and the past prophets (p.b.u.t) walk of life.

Finally, the paper calls Muslims to make this kind of calling a walk of life for them too, and confirms the danger of its absence.

Key words: Calling Allah , Beautiful names of Allah, The perfect adjectives, Call of praise and worship, Call of needs.

مُشكِلَةُ البَحث:

تَوضيحُ كيفيَّةِ دُعاءِ اللهِ تَعَالى بأسمَائه الحُسنى وصِفَاتِهِ العُلا والتَّقَرُّبِ إليه بهَا، وبيانُ أنَّ اللهَ تعالى لا يَصِحُّ أَن يُدعَى إلَّا بها، مع بيانِ الأُمور التي يجبُ على الـدَّاعي بهذه الأسماءِ الحُسنى والصِّفَات العُلا مُرَاعاتُها وأخذُها بِعَينِ الاعتِبَارِ عندَ سـؤالِ اللـه تعالى ودعائِه بها ، مع التَّأكيدِ على جَوَازِ وصِحَّةِ التَّوَسُّلِ إلى اللهِ تَعَالى بِصِفَاتِهِ العُلا.

أهميَّةُ البَحثِ ومُبَرِّرَاتُه والحاجَةُ إليهِ:

- عَرضُ ومُناقشةُ الأَدِلَّةِ الشَّـرعيِّةِ الـواردةِ في وجـوبِ دعـاء اللـه تعـالى بأسـمائِهِ الحُسنى وصِفَاتهِ العُلا، وعَدَمِ جَوازِ دُعائِهِ بِغَيرِهَا.
- بيانُ وتَوضيحُ الأَدِلَّةِ الشَّرعيَّةِ الـتي تُثبِتُ صِـحَّةَ التَّوَسُّـلِ إلى اللـه تعـالى بِصِـفَاتِه العُلا.
- تَفصـيلُ القَـولِ في أنَّ دُعـاءَهُ تَعـالى يَنقَسِـمُ إلى دُعـاء ثَنَـاءٍ وعِبَـادةٍ وإلى دُعَـاءِ مَسأَلَةٍ وطَلَبٍ.
- الإجابةُ على سُؤالِ "كيفَ يكونُ الدُّعاءُ بالأسماء الحُسـنى والصِّـفَاتِ العُلا مَنهَجَـاً عَمَلِيَّاً تَطبيقِيَّاً في حياةِ المُسلمِ؟".
- بيانُ الحَوائلِ والموانعِ التي تَحُولُ دُونَ إجابةِ الدُّعاء حتَّى ولو كـان مُقتَرِنَـاً بـأَحَبِّ أسماءِ اللهِ تَعَاَلى إليه.

الدِّراساتُ السَّابقةُ:

لَم أقِفْ على دراسَةٍ أو بَحثٍ عِلمِيٍّ أو كتابٍ خُصِّصَ لِمَوضوع هذه الدّراسـة - على مَا أَعلَمُ - وكلُّ الذي وَقفتُ عليه إنَّما يُناقِشُ - كمَا هو مَشهورٌ في كُتُبِ العقيدةِ - مَعاني الأسماء الحُسنى والصِّفاتِ العُلا وأَهَمّيَّتَها ومنهجَ أهـلِ السُّـنّةِ والجَمَاعـة في تقريرها والرَّدِّ على المُخَـالِفِينَ لهُم، ومـا إلى ذلـكَ مِن الحـديث عن أنـواعِ الصِّـفاتِ العُلا وتَقسِيمِها.

أمَّا عن الدُّعاءِ بهذهِ الأسماءِ والصِّفاتِ الإلهيَّةِ فقد جـاءَ الحـديثُ عنهـا عَرَضِـيَّاً ضمنَ المَباحثِ والمَسائلِ التي تَضَمَّنَتْهَا هذه الكتبُ.

مَنهجيَّةُ البَحث:

استخدمَ هذا البحثُ العديدَ مِن المناهج، وكان مِن أبرزِها:

- **المَنهَجُ الاستقرائيُّ:** ويتَوضَّحُ ذلك مِن خلالِ اسـتقراء النُّصُـوصِ الشَّـرعيَّةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ في مَوضوع دُعاءِ اللهِ تَعالى بأسمائِهِ وصِفاتِهِ.

- **المَنهجُ التَّحليليُّ**: والذي تمَّ مِن خلاله التَّفريقُ بين َدُعاء اللهِ تعالى بأسمائِهِ وصفَاتِهِ مِن جِهَةٍ وبينَ دُعاءِ صفاتِ اللهِ تعالى بعينها مِن جِهَةٍ أُخرى، لأَنَّ الأَوَّلَ وَاجبٌ أمَّا الثَّاني فَهُوَ حَرَامٌ ، وقَد يَصِلُ بصاحبِهِ إلى الكُفرِ إن كان يقصدُهُ. كما يَتَّضِحُ هذا المنهجُ مِن خلالِ مُناقشةِ آراءِ وأَدِلَّةِ مَانِعِي التَّوَسُّلِ إلى اللهِ تعالى بِصِفَاتهِ والرَّدِّ عليها.
- **المَنهجُ التَّاريخيُّ:** والذي نتحَدَّثُ مِن خِلالِهِ عَن دُعاءِ رسولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأُخوَتِهِ الأنبياءِ - علَيهم السَّلامُ - مِن قَبلِهِ للهِ تَعَالى بأسمائِهِ وصِفَاتِهِ في كُلِّ أحوالِ حياتِهم ودَعوَتِهم لأَقوَامِهِم مع الوقوفِ على نماذجَ مُخَتارةٍ بهذا الصَّدَدِ مِنها دُعاءُ الأنبياءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ و زَكريّا عَلَيهِم السَّلامُ.

حُدودُ البَحث:

إنّ الأبحاثَ والكتابات في موضوع الدُعاء كثيرةٌ جداً، ولكنَّ الذي نحنُ بصددِ الاقتصارِ عليهِ في هذهِ الدراسة هو جزءٌ واحدٌ فقطْ قَلَّتْ فيهِ الدِّراساتُ والأبحاثُ؛ ألَا وهو دُعاءُ الله تعالى بأسمائه الحُسّنى وصِفاتهِ العُلا، وبيانُ المقصود به وكيفيّته، واستعراض الشّواهد والنُّصوص الشّرعيّة المُتعلِّقة بدُعاء الأنبياءِ اللهَ تعالى بها.

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الذي تسّعى هذهِ الدراسةُ لِطَرقِهِ إنّمـا هـو بـابٌ مُحَـدَّدٌ مِن أبـواب الـدُّعاء الواسعة ألا وهو دُعاء اللهِ عَزَّ وجَلَّ بأسمائه وصِفاتِه ... ولا يعنينا في هـذا البـابِ من أبـواب العقيـدة ومباحثهـا (أي؛ بـاب أسـماء اللـه الحُسـنى وصِـفاتهِ العُلا) في هـذه الدِّراسة سوى الدُّعاء بها و التَّقَرُّب إليه - تبارك و تعـالى- بهـا. ولا يـزعمُ هـذا البحثُ أنّهُ جاءَ بأدعيةٍ جديدةٍ أو كيفيَّاتٍ لم يُسبَق إليها في دُعاء الله تعالى بأسمائه وصِفاته .لا، ولكنّ المُبتَغى من خلاله هُو النُّهوضُ للتّوجيه والتّصـويب والإرشـاد إلى الكَيفِيّـات الصّحيحة المشروعة التي ينبغي أن يكون عليها مِثلُ هـذا النّـوع الجليـل والرّفيـع مِن الدُّعاء لأنّنا – وللأسف – نرى الكثيرين يتسابقون في اخـتراع وابتـداع أدعيـةٍ بأسـماءٍ لله تعالى ما أنزلَ بها مِن سُـلطانٍ. و تَـرى الواحـد مِنّـا يسـتلمُ كُـلَّ يـومٍ العديـد من الرسائل على مواقع التّواصل الاجتماعي، وبالذّات "الواتس آب" أدعيـةً مِن أصـحابه وأهله ومُحِبّيه - كلّها من باب المودّة والتذكير والتناصح بالخير - وفي هذه الأدعية مـا يخالف الشرع سواءٌ أكان ذلك في عنوانها أو محتواها، والباعث على ذلك كلّه الجهلُ بكيفيات دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومِن هنا وَجبَ النُّهوض للتّصحيح والتّـذكير وبيان أوجه الحقّ والباطل، أو على الأقلّ بيـان الصّـواب والخطـأ. إنّ الأسـاس الـذي قام عليه هذا البحث المتواضع هو قوله تعالى (وللهِ الأسماءُ الحُسنى فـادعوه بهـا) (**الأعراف** : 180).

المَطلَبُ الأَوَّلُ

تَوطِئَةٌ في سُؤال العَبدِ و سُؤالِ الرَّبِّ، وفيما يجِبُ استِحضَارُهُ عندَ الدُّعَاء

الحَمدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله. أمَّا بَعدُ؛ فإنَّ أحدَنَا لـو أرادَ لقـاءَ إنسانٍ ذي جَاهٍ وسُلطَانٍ ومَنصَبٍ - يملكُ مِن السُّلطةِ والنُّفوذِ ما يقدرُ به على قضـاء حاجات النّاس - لِيَشكُوَ إليه مَظلَمَةً لَحقَتْ به أو حاجةً يريدُ قضاءها أو هَمَّاً يبثُّهُ إيـاهُ ، لَتَطَلَّبَ الأمـرُ وقتـاً طـويلاً في التّـرتيب للقائِهِ إيّـاه - هـذا إن وافـقَ صـاحبُ الجَـاه والسُّـلطان على اللقـاءِ ابتـداءً - وذلـك بسـببِ انشـغَالِهِ والزَّحمَـةِ الـتي في جـدول مواعيده ولقاءاته وأعمالهِ، ناهيكَ عن التَّرتيبات والتَّعقيدات التي تُرافقُ حجزَ المَوعـد وما إلى ذلك مِمَّا يراهُ مديرُ أعمال أو مكتبِ صاحبِ الجَاه والسُّلطان.. فإنْ يسَّرَ اللهُ الأمرَ وتمَّ اللقاءُ المُنتَظَرُ فإنّنا نرى صاحبَ الحاجة قد دخَلَ في مكان اللقـاء وهـو في شيءٍ من الرَّهبة والاضطراب؛ وذلك لأنَّ الـوقتَ الـذي تمَّ تحديـدهُ لـه ضَـيِّقٌ وقصـيرٌ ويخشى ألَّا يَكفيَهُ لِعَرضِ حالِهِ ومسألتِهِ!! وبـالعودةِ لِمُقَـدِّمَات اللقـاء وتفاصـيلِهِ فإنَّنَـا نرى صاحبَ الجاهِ والسُّلطان هو الذي يُحَدِّدُ وقتَ اللقاء ومكانَه وكيفيَّتَهُ ، وهـو الـذي يديرُ الجَلسَةَ ويبدؤها ويُنهيها سواءٌ أكان ذلك بِكَـثرَةِ نَظَـرِهِ للسّـاعةِ الـتي في يـده أو بتكرار النَّظَرِ إلى هاتفه الجَـوَّال الـذي يضـعُ بجانبـه على سـطح المكتب ، أو باعتـذارٍ دَمِثٍ من صاحبِ الحاجة راجعٍ لامتلاء جدول مواعيده...

وفي الأغلب الأعمِّ مِن مثلِ هذه اللقاءاتِ يخرجُ صاحبُ الحاجة خالي الوِفَاضِ ، ويدخلُ مرحلةً من الانتِظَارِ والتَّرَقُّبِ لما ينجمُ عن هذا اللقاء، وهـو يعلمُ تمامـاً أنّـه لن يحصُلَ على نتيجةٍ يتوقَّعُها إلَّا إذا كانت "الواسـطةُ" حاضـرةً فعّالـةً تسـتميلُ قلبَ صاحبِ الجاهِ والسُّلطانِ وتستدرُّ عطفَهُ بطرائقَ لا يعلَمُها إلا الله وكلاهما.

أمَّا في لقاءِ صاحبِ الحاجَةِ مع اللـهِ تعـالى فَمَـا تَقَـدَّمَ كلُّهُ غـيرُ موجـودٍ؛ ففي لقاء الله عند دعائِه تعالى نرى أنَّ صاحبَ الحاجةِ هو الذي يختارُ وقتَ اللقاء والدُّعاء ومكانَه وكيفيّةَ هذا اللقاء سواءٌ أكان ذلك بِسُجُودٍ أو رُكوعٍ أو صَلاةٍ أو خُلوَةٍ أو بُكـاءٍ.. وصاحبُ الحاجةِ هو الذي يبدأُ اللقاءَ والدُّعاءَ وينهيهِ ، وكـذلك فإنَّهُ هـو الـذي يتحـدَّثُ ويتحدَّثُ ويرفعُ صوتَهُ أو يخفضُهُ ويدعو ويدعو ويُنادي ويَستغيثُ ، واللهُ تعالى يسـمعُ ويَرى وهو سميعٌ قريبٌ مُجيبٌ.

في اللقاء مع الله تعالى يعلمُ صـاحبُ الحاجـةِ أنَّ مطالبَـهُ و دعواتِـهِ مُجَابـةٌ لا محالةَ - ما لم يكنْ في ذلك إثمٌ أو استعجالٌ أو قطيعةُ رحمٍ - وأنّ ما طَلَبَـهُ مِن اللـه سينالهُ ويأخذه دونَ أدنى شكٍّ ، ولو بعدَ حينٍ...

ولَئِن استحضَرَ صـاحبُ الحاجـة هـذا الاعتقـادَ وعَـزَمَ في الـدُّعاء طـابَ اللقـاءُ وصفا، لقاءٌ يَشـعُرُ صـاحبُ الحاجـة فيـه بـأنّ لـه قيمـةً وكرامـةً وأنّ كلامـه مسـموعٌ ومطلبَهُ مُجابٌ، وفيه من راحة النفس وهـدأة القلب مـا فيـه. في لقـاء اللـه ليسـت هناك ساعةٌ تطاردُ صاحبَ الحاجةِ دقائقُها، ولا هاتفٌ جَوَّالٌ يقطعُ كلام العبـد ودعـاءَه كُلَّ دَقيقةٍ ودَقيقةٍ.

وفوقَ هذا كُلِّهِ وذاكَ نرى - في لقاء الله - أنّ صـاحب الحاجـة هـو الـذي يـديرُ اللقاءَ ويُنَمِّقُ الكلام ويُجَّمِل اللقاءَ بِخُشُوعٍ ودُمُوعٍ وإعلانِ تَوبةٍ واستغفارٍ.

ومن اللطائف في ذِكر لقاء الله تعالى أنّهُ جلَّ وعلا يُحِبُّ مَن أحبَّ لقـاءه وأنَّهُ يغضـبُ إذا تـرك العبـدُ دعـاءه، وعلى خِلافِ العَبـدِ صـاحبِ الجـاهِ والسُّـلطانِ الـذي يغضبُ إذا ألحَّ صاحبُ الحاجةِ في مسألته وكـرَّرَ مطالبَـه فـإنَّ اللـهَ تَعَـالى يُحِبُّ من عبده الإلحاحَ في مسألتِهِ وتكرارَ مطالبِهِ ، وقد كان هذا دأبَ نَبِيِّنَا - صـلَّى اللـهُ عليـه وسلَّم - في دعائه الله عزَّ وجَلَّ ؛ فقد كانَ يُلِحُّ في الدُّعاءِ ويُكَرِّرُهُ ثلاثاً.

لَرُبَّما يغيبُ صاحبُ الجاهِ والسُّلطان ويُسافرُ وينسى ما وَعـدَ صـاحبَ الحاجـةِ مِن أنَّهُ سَيُحَقِّقُها له، ولكنَّ اللهَ تَعَالى لا يغيبُ ولا يأفلُ ولا يسافرُ ولا يَنسى وحاشـاهُ جلَّ وعلَا أن ينسى (ومَا كانَ ربُّكَ نَسِيَّاً) (**مريم** : 49) . هـو قـريبٌ لا تفصـلُهُ عن أصحاب الحاجاتِ والمَطَالبِ الفواصلُ، ولا تمنعهُ عنهم الموانـعُ بـل هـو أقـربُ إليهم مِن حَبلِ الوريد، وهو يبسطُ يدَهُ بالليـل ليتـوبَ مُسـيءُ النَّهـار، ويبسـطُ يـدَهُ بالنّهـار لِيَتوبَ مُسيءُ الليل، ويداهُ مبسوطتان يُنفقُ كيفَ يشاءُ، ولو أنَّه أعطى الخَلـقَ كُلَّهُم مسألتَهُم وقضى حاجاتِهم لما نَقَصَ ذلك مِن مُلكِهِ شـيئاً، وفـوقَ هـذا كُلِّهِ وذاكَ فهـوَ يَستحيي إذا رفعَ صاحبُ الحاجة إليه يديهِ بالدُّعاء أن يَرُدَّ عليه يديه صِفراً خائبتين..

لَعَمْري إنَّ هـذه اللطـائفَ الرّبّانيّـةَ الـتي تقـدَّمَت تَتَطَلَّبُ مِنَّا - ونحنُ أصـحاب الحاجات والمطَالب التي لا تنتهي - أَن نُجيدَ بَل نُتقِنَ الدُّعاءَ ونُحسِنَ اللِّقَاءَ والطَّلَبَ.

ولَئِنْ كانَ صاحبُ الجَاهِ والسُّـلطانِ يُحِبُّ مَن صـاحبِ الحاجـةِ أَن يَتَقـرَّبَ إليـه ويمدحَه ويُطريَـه ويتـودَّدَ إليـه بِمُقَـدِّماتٍ مِن المَـدحِ والإطـراءِ ، فـإنَّ اللـهَ يُحِبُّ مِن صاحبِ الحاجةِ أن يتقرَّبَ إليه بالنَّوافِلِ حتَّى يُحِبَّهُ ويُعلِمُهُ ويُعَلِّمُهُ أنَّه مـا تقـرَّبَ إليـهِ بشيءٍ أحبَّ إليه مِمَّا افترَضَهُ عليه، ولعلَّ هذا هـو شـاهدُنَا الـرئيسُ وحَجَـرُ الأَسـاسِ الذي نَبني عليهِ دراستَنَا هذه؛ فقد فَرَضَ اللهُ تعالى على صاحبِ الحاجةِ وعلَينَـا عنـدَ

دعائِه وطَلَبِ حاجتِنَا ومسألَتِنا أن نَدعُوَهُ بأَسمائِهِ الحُسنى فقال: (ولله الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا) (**الأعراف** : 180). ولَعَلَّ هذهِ الجُزئِيَّةَ هي القاسمُ المُشتَرَكُ الأكبرُ بين دُعائِنا صَاحبَ الجَاهِ والسُّلطَانِ وبينَ دُعائِنا اللهَ سُبحَانه وتَعَالى ؛ وبيَانُ ذلك أنَّ صاحبَ الجاهِ والسُّلطانِ لا يَقبَلُ أَن يَدعُوَهُ صاحبُ الحاجةِ باسمِ غَيرِهِ مِن أصحابِ الجَاهِ والسُّلطانِ، ولا يَقبَلُ أَن يَصِفَهُ بأَوصَافٍ لا تليقُ بِهِ ، فاللهُ تَعَالى أَولَى - وللهِ المَثَلُ الأَعلى - أَنْ نُنَادِيَهُ ونَدعُوَهُ ونَستغيثُهُ ونَستَعِينَهُ بأَسمائِهِ الحُسنَى التي لا تَنبَغي إِلَّا لهُ ، وَبِصَفَاتِهِ العُلا الكامِلاتِ التي لا تليقُ إِلَّا بِهِ جَلَّ جَلَالُه (قُلْ ادعُوا اللهَ أَو ادعُوا الرَّحمَنَ أَيّاً مَا تَدعُو فَلَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى) (**الإسراء** : 110).

أمَّا بعدُ ؛ فإنّ للدُّعاء في اللُّغة العربيّة معاني واضحةً مُحَدَّدةً، وبينها وبين معناه الاصطلاحي من التّقارب والارتباط الشّيء الكثير.

وكلمةُ الدُّعاء في الأصل مصدرٌ مُشتَقٌ من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميلَ الشيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منكَ (القزويني، **مُعجم مقاييس اللغة**، ج2، ص279).

وقال ابن منظورٍ: "دعا الرجلَ دَعوًا ودعاءً: ناداه. والاسمُ: الدَّعوة. ودعوتُ فلانًا: أيْ صِحتُ به واستدعيتُهُ (ابن منظور، **معجم لسان العرب**، ج3، ص205).

أمَّا الدُّعاء في الاصطلاح الشّرعيّ فقد عُرِّف بعدَّةِ تعريفاتٍ كان مِن أبرزها تعريفُ الخَطَّابيّ في كتابه الشّهير " شأن الدُّعاء " حيث قال:

"معنى الدُّعاء استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سِمَةُ العبوديّة، واستشعارُ الذِّلَّةِ البشريَّةِ، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه" (الخطّابيّ، **شأنُ الدعاء**، ص4).

وقدَّم ابنُ منظورٍ للدُّعاء تعريفاً لطيفاً مُختَصَراً فقالَ: الدُّعاء "هو الرغبة إلى الله عز وجل" (ابن منظور، **لسانُ العرب**، ج5، ص250).

ونستهلُّ موضوعنا بتوطئةٍ لطيفةٍ جميلةٍ مُفيدةٍ تختصرُ لنا وعلينا الكثيرَ من الكلام والتّعريفات حَولَ موضوعِ أسماء الله الحُسنى وصفاتهِ العُلا كان قد ذكرها العالِمُ الجليلُ والمُفَسِّرُ المشهور عبد الرَّحمن السّعدي – رَحمَهُ اللهُ - في تفسيره للآية السّابقة حيث قال: " هذا بيانٌ لعظيمِ جلالهِ وسعةِ أوصافِهِ، بأنَّ له الأسماء الحُسنى، أي: لَهُ كُلُّ اسمٍ حَسَنٍ، وضابطُهُ: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍ على صِفَةِ كمَالٍ عظيمةٍ، وبذلك كانت حُسنى، فإنها لو دلَّت على غير صفةٍ، بل كانت علماً محَضاً لم تكُنْ حُسنى، وكذلك لو دلَّت على صفةٍ ليست بِصِفَةِ كمالٍ لم تكُن حُسنى، فكلُّ

اسمٍ من أسمائه دالٌّ على جميع الصّفة التي اشـتُقَّ منهـا، مُسـتغرِقٌ لجميـع معناهـا. وذلك نحو العليم الدالِّ على أنّ له عِلماً محُيطاً عامّـاً لجميـع الأشـياء، فلا يخـرج عن علمـه مثقُـال ذرَّةٍ في الأرض ولا في السـماء. وكـالرّحيم الـدالِّ على أن لـه رحمـةً عظيمةً، واسعةً لكلِّ شيءٍ. وكالقدير الدالِّ على أنّ له قدرةً عامّةً، لا يعجزها شـيءٌ، ونحو ذلك. ومن تمام كونها "حُسنى" أنه لا يُدعى إلّا بهـا، ولـذلك قـال: فَـادْعُوهُ بِهَا ، وهذا شاملٌ لدعاء العبادةِ، ودعاء المسألةِ، فيُدعى في كلِّ مطلوبٍ بما يناسـبُ ذلـك المطلوبَ، فيقول الداعي مثلاً: اللّهُمَّ اغفر لي وارحمـني، إنـك أنت الغفـور الـرحيم، وتُبْ عَلَيَّ يا توَّابُ، وارزقني يا رزّاق، والطُـف بي يـا لطيـفُ ونحـو ذلـك" (السـعدي، **تيسيرُ الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ج1، ص310).

ينبغي على المسلم عند توجهّـه بالـدعاء للـه عـزّ وجـلّ بأسـمائه الحُسـنى أن يعتقد جازمـاً أن اللـه تعـالى سـوف يسـتجيب لدعائـه ولـو بعـد حين، لأنَّ الـدُّعاءَ إذا اجتمعت فيه الشروط المطلوبة وانتفت عنه الموانع فإنه يستجاب لصاحبه لا محالـة؛ لوعد الله سبحانه بذلك، واللـه لا يخلـف وعـده كمـا قـال: {وَعْـدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِـفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (الرُّوم : 6).

ولكنَّ كيفيَّةَ وزمـانَ ومضـمونَ الاسـتجابةِ هـو الـذي يختلـفُ مِن شـخصٍ إلى شـخصٍ في إجابـة اللـه تعـالى لـدعائهم، وأنَّ العبـدَ الـذي يـدعو ربَّهُ تعـالى لا يخيبُ مسعاه أبداً حيث أنّ له واحدةً مِن ثلاثٍ، كما جاءت بـذلك الأحـاديثُ الصِّـحَاحُ ؛ فَعَن أبي سعيدٍ الخدري - رضي اللهُ عنه - أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: مَـا مِن مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحـدى ثلاثٍ: إمَّا أن يُعَجِّلَ له دعوته، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يصـرفَ عنـه من السـوء مثلَها، قالوا: إذاً نُكثِرُ، قالَ اللهُ أكثرُ (**مُسنَد الإمـام أحمد**، الحـديث رقم 11133، ج17).

"وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم مَـا مِن مـؤمنٍ ينصبُ وجهَهُ إلى الله تعالى يسأله إلّا أعطاهُ إيّاها إمّا أن يَجعلهـا لـه في الدُّنيا، وإمّـا أن يدَّخِرَها له في الآخرة ما لم يَعجَلْ، قالوا ومَا عَجَلَتُهُ ؟ قال يقـولُ دعـوتُ اللهَ عزَّ وَجلَّ فلا أراه يُسـتجابُ لي" (**صـحيح البخـاري**، الحـديث رقم 5981، كتـاب الدّعوات).

إذاً فإنَّ مَا تقدَّمَ مِن الأحاديث الشريفة يُبَشِّرُ المؤمن بأنّ دعاءَه لله لن يضـيعَ أبداً ولكنَّها تحدِّدُ للمسلم الضَّوابط والشّروطَ اللازمةَ والمطلوبةَ لإجابـة دعائـهِ، كَمـا تُحَدِّدُ له الآلياتِ والوجوهَ التي تتحقَّقُ مِن خلالها إجابةُ دعائه، وذلك كُلُّهُ لكي لا ييأسَ

ولا يقنطّ من رحمةِ الله ، ولِكي يرى مدى محبّة الله تعالى لعبده، تلك المحبـة الـتي تتجلى من خلال وعـده الـذي لا يخلـف وكيـف لا؟ وهـو المـدعوُّ الوحيـدُ القـادرُ على الاسـتجابة الكاملـة والـذي بيـدهِ مقاليـدُ السّـموات والأرض وعنـده مفـاتيحُ الغيب لا يعلمُها إلاّ هو. وذلك كلُّه ليتوجّه العبدُ إليه وحدَهُ بالدُّعاءِ ولكي يتركَ دعوةَ مَنْ سـواه فإنهم لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وما تقدَّم كُله يجبُ أن يراه العبد الصـادق في دعوته حبالاً يمددها الله تعالى إليه لكي تكـون منجـاةً لـه فلا يتعلـق بسـواه ولا يلجـأ لغيره سبحانه . وإنَّنا إذ نسوقُ هذه الكلمات ونوردُ هـذه المُبَشِّـراتِ الشـرعيَّةَ الدالَّةَ على استجابة دعاء الإنسان لله عزّ وجلّ بأسمائهِ وصفاتهِ **فإنّه مِن المُهِمِّ التَّنبيه إلى ما يلي:**

أولاً: أن يختار الدّاعي في طلبهِ ومسألته من الله الاسمَ المُناسبَ من أسماء الله الحُسنى الذي يُناسب ويوافق طلبه ومسألته. فيقول الـدّاعي في دعائـه (مثلاً): يا غفّارُ اغفر لي، يا رحيمُ ارحمني، يا رزّاق ابسط لي في رِزقي، يا شـافي اشـفني، وهكـذا ... ففي القـرآن الكـريم: {وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَـةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} **(آل عمران** : 8). وفي الحديث: "اللهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ كريمٌ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنَّي" (**سُـنن الترمذي (الجامع الكبير)،** الحديث رقم 3513، باب العفو والعافية).

وتناسُبُ الاسمِ مع المَسألَةِ هي واحـدةٌ من القضـايا الـتي أكَّدَ العُلمـاءُ عليهـا، يَقـول ابنُ القَيِّم: "يُسـأَلُ في كـلِّ مَطْلـوبٍ بِاسـمٍ يَكـونُ مُقتضِـيَاً لـذلكَ المَطلـوب، فيكونُ السَّائلُ مُتَوسِّلاً إليه بـذلكَ الاسـمِ، ومَنْ تأمَّلَ أَدْعِيـةَ الرُّسـلِ وَجَـدَها مُطابِقـةً لِهذا" (ابن القيّم، **بدائعُ الفوائد**، ج1، ص164). وَيقول: يَأْتي السَّائلُ بالاسمِ الـذي يقتضيهِ المَطْلوبُ، كما تَقول: اغفرْ لي وارْحَمْني إنَّكَ أنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، ولا يَحْسُـنُ أن تقولَ: إنَّك أنتَ السّميعُ البَصيرُ (ابن القيّم، **بدائعُ الفوائد**، ج1، ص164).

ويَقولُ ابنُ العَرَبِيّ: "يُطْلَبُ بكلِّ اسْمٍ ما يليقُ بِه، تَقول: يـا رَحيمُ ارْحَمْـني، يـا حكيمُ احْكُمْ لي، يا رَزَّاقُ ارْزُقْني، يا هادي اهْدِني" (ابن العربي، **أحكامُ القـرآن**، ج 2، ص351). وَنبَّه ابنُ العَربيّ إلى أنَّ بَعْضَ أسْـمائِهِ - تَبَـارَكَ وَتَعـالى - أَسْـماءٌ عامَّةٌ تَصْلُحُ لأنْ يُدْعَى بِها في كُلِّ مَوضِعٍ، وفي كُل الأمور، مثل: اللهُ، الرَّبُّ.

وإذا كـان الـدُّعاء باسـمِهِ تَعَـالى الأَعظَمِ، طُلِبَ به كـلُّ شـيءٍ وذلك لِتَضَـمُّنِهِ لمعنى كُلِّ اسمٍ، والعلمُ عند الله تعـالى. وإذا كـان العبـدُ مصَـمِّماًعلى أن يـدعوَ الله تعالى باسمهِ الأعظَمِ وهوَ – كما هوَ حالُنَا نحنُ – لا يعـرف أيَّاً مِن أسـماء الله تعـالى هو الأَعظَمُ فَليدعُ بواحـدٍ من الأسـماء الإلهيّة الـواردة في الأحـاديث التّالية فـإنَّ فيها اسم الله الأعظم كما أخبَرَنَا الحبيبُ المُصطفى، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

1. وَرَدَ تحديدُ آيتَيْ البقرة وآلِ عمرانَ اللَّتينِ وَرَدَ فيهما اسـمُ الله الأعظمُ، فَقـدْ رَوَى الترمذيُّ وأبو داودَ وإبنُ ماجةَ والدَّارَميُّ بإسـنادٍ صـحيحٍ عن أسـماء بنت يزيدٍ رضيَ الله عنها، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "اسمُ اللهِ الأعظمُ في هـاتين الآيـتين: {وَإِلَــهُكُمْ إِلَــهٌ وَاحِـدٌ لاَّ إِلَــهَ إِلاَّ هُـوَ الرَّحْمَــنُ الـرَّحِيمُ} (**البقــرة** : 163). وفاتحــة آل عمــران: {الم * اللَّهُ لا إِلَـــهَ إِلاَّ هُـــوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (**آل عمران** : 1،2) (الألباني، **صحيحُ الجامع الصّـغير وزيادتُه**، ج1، ص229).
2. عن أنسٍ أنَّه كانَ مع النبيِّ- صلى الله عليه وسلَّم- جالسـاً، ورَجُـلٌ يصـلّي، ثم دعا: "اللهمَّ إنِّي أسألكَ بأنَّ لكَ الحمدَ، لا إله إلَّا أنتَ، المنّانُ، بـديعُ السـموات والأرض، يا ذَا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيـوم،فقـالَ النـبيُّ صـلّى اللـهُ عليـه وسلم: لقد دعا اللـهَ باسـمهِ الأعظمِ الـذي إذا دُعِيَ بـه أجـابَ، وإذا سُـئِلَ بـه أعطَى" (**سُنَنُ التّرمذي (الجامع الكبير)** الحديث رقم 3544، ج5).
3. عن بُرَيْدةَ الأسلميّ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللـه عليـه وسـلم سَـمِعَ رَجُلاً يـدعو وهو يقولُ: "اللهمَّ إنِّي أسألك بأنِّي أشـهدُ أنَّك أنتَ اللـهُ، لا إلـهَ إلَّا أنتَ الأحـدُ الصَّمدُ الذي لم يَلِدْ، ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُـواً أحـدٌ. فقـال: والـذي نفسـي بِيَدِهِ لقَدْ سألَ اللـهَ باسـمهِ الأعظمِ، الـذي إذا دُعِيَ بـه أجـابَ، وإذا سُـئِلَ بـهِ أعطَى" (**سُنَنُ التّرمذي (الجامع الكبير)** الحديث رقم 3544).

ثانياً: ضرورة أن يعتقدَ الـدّاعي اعتقـاداً لا شـكَّ ولا رَيبَ فيـهِ أنَّ اللـهَ تعـالى سيَستَجيبُ لدُعائهِ. وأن يستَحضِـرَ الـدَّاعي قولَـه- صـلّى اللـهُ عليـه وسـلَّم – والـذي استَهَلَّهُ باسمَينِ وصِفَتين من أسماء اللـه الحُسـنى وصِـفاتِه العُلا -: "إنَّ ربَّكُم تبـاركَ وتعالى حييٌّ كريمٌ يستحيي مِن عبدِهِ إذا رَفَعَ يَديه إليهِ أَنْ يَرُدَّهمـا صِـفراً" (الألبـاني، **صـحيحُ الجـامع الصـغير وزيادتُه**، الحـديث رقم 1757، ج1). وجـاء في لَفـظٍ "صِـفراً خـائبَتَين" (**سُنَنُ التّرمـذي**، الحـديث رقم 3556، ص448، ج5). وكلمـة " صِفراً " هنا تعني فارِغَة .

ثالثاً : ضرورة أن يَستَحضِرَ الدَّاعي أثناءَ دُعائه الله عزَّ وجـلَّ أنّ الـذي يختـارُ ويحدِّدُ كيفيَّةَ وزمانَ الاستجابةِ هو اللهُ تعالى وحدَهُ وأنَّهُ هوَ القـادرُ وهـو المالـكُ وهـو ألطَفُ وأرأفُ بالعبـد مِن العبـد بِنَفسِـهِ كمـا أنَّه عـزَّ وجـلَّ علاّمُ الغيـوب وهـو الأعلمُ بمصلحةِ العبدِ وبما يُصلِحُ حالَهُ ويناسبُها .

وكثيراً ما تتعَلَّقُ النفسُ بأشياء قد لا يكون الخيرُ فيها، فيصـرفُها اللـهُ برحمتـه وحُسنِ تدبيره للعبد، وبعضُ الناسِ - لِقِصَرِ نَظَرِهم - لا يشعرون أنَّ النّعمةَ في المنعِ

أحياناً تكونُ أعظمَ مِمَّا هي في العطـاء، بـل قـد يكـونُ هلاكُ الإنسـان في أن يُعطَى وخيرُهُ في أن يُمنَعَ، وقـد قـال سـبحانه: {وَعَسَـى أَن تَكْرَهُـواْ شَـيْئاً وَهُـوَ خَيْـرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (**البقـرة** : 216)، وقال في آيةٍ أُخرى: {وَيَدْعُ الإِنْسَـانُ بِالشَّـرِّ دُعَـاءَهُ بِـالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَـانُ عَجُـولاً} (**الإسراء** : 11).

يقول الرَّازي - رحمَهُ اللهُ – في تفسيره لهذه الآيةِ : يُحتَمَلُ أنْ يكـون المُـرادُ: أنَّ الإنسان قد يُبالغ في الدُّعاء طَلَبَاً لشيءٍ يَعتقدُ أنَّ خيرَهُ فيه، مع أنَّ ذلـك الشـيءَ يكونُ مَنبعَ شَرِّهِ وضَرَرِهِ، وهو يُبالغُ في طَلَبِهِ لِجَهلِهِ بحالِ ذلك الشَّـيء، وإنَّمـا يُقـدِمُ على مِثلِ هذا العملِ لِكَونِهِ عَجُولاً مُغتَرَّاً بِظَواهرِ الأمـور وغـيرَ مُتَفَحِّصٍ عن حقائقهـا وأسرارِها (الرازي، **مفاتيحُ الغَيب (التفسير الكبير)،** ج2، ص305).

ويقولُ السَّعديُّ – رحمهُ اللهُ - في تفسيره: الغالبُ على العبد المؤمن أنّـه إذا جَلَبَ أمراً من الأمور فَقَيَّضَ اللهُ له مِن الأسباب ما يصرفُهُ عنه أنَّهُ خيرٌ له، فالأَوفَقُ له في ذلك أن يَشكُرَ اللهَ، ويجعلَ الخـيرَ في الواقـع، لأنَّهُ يعلمُ أنَّ اللـه تعـالى أرحمُ بالعبدِ مِن نفسِـهِ، وأَقـدَرُ على مصـلحةِ عبـدِهِ منـهُ، وأعلمُ بمصـلحتهِ منـه؛ كمـا قـال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (**البقرة** : 216)، فاللّائقُ بكُم أن تتمشَّوا مع أقدارِهِ، سواء سَرَّتكم أو ساءتكُم (السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، تفسير سورة البقرة الآية رقم 16).

رابعاً: أن يستحضرَ العبدُ أسـماء اللـه الحُسـنى (السـميع والبصـير و القـريب والمُجيب والقادر) أثناءَ دعائه وأن **يعتقد** جازماً أنَّ الله تعـالى المُسَـمَّى والمُتَّصِـفَ بهذه الأسماء الحُسنى المـذكورة حقيقـةً سـوف يُجيبُ دعـاءه. والتّركـيز على كلمـة (جازماً) هنا جاء لكي لا ينفذَ الشيطانُ إلى المُسلم الدّاعي من باب التردُّدِ واستبطاءِ إجابـة الـدُّعاء (لكنكم تسـتعجلون) (صـحيح البخـاري، كتـاب الإكـراه، الحـديث رقم 6544). فيقومَ بإضعافِهِ وتقنيطِهِ مِن رحمةِ الله عزَّ وجلَّ الرحمن الرحيم، وتشكيكِهِ في إجابة الله لدعائه، وذلك كلُّهُ لِيَجعَلَ مِن المُسلم خِرقةً باليةً مُلقَـاةً عنـد الأبـواب والمداخلِ وجسداً بلا رُوحٍ، أو فَلنَقُلْ جسـداً بِـرُوحٍ يملؤهـا الانهـزامُ والاستسـلامُ ... فالجَزمُ واليقينُ بأنَّ الله سميعٌ بصـيرٌ قـريبٌ مُجيبٌ قـادرٌ هـو وحـدَهُ الكفيـلُ بِحَفـظِ المُسلم من هذه الوساوسِ والمكائدِ والمصائدِ الشـيطانيّةِ ، والاعتِقـادُ الجـازمُ بهـذه الأسماءِ الإلهيّة وحدَهُ الكفيلُ بإضعافِ بل بإذابةِ كَيدِ الشّيطان قـال تعـالى: {إنَّ كيـد الشَّيطانِ كان ضعيفاً} (**النساء** : 76).

"فهذهِ كُلُّها وساوسُ شيطانيَّةٌ لا فائدة منهـا، فلـو رَكَنتَ إليهـا أفسـدتْ عليـك دينَكَ، ولَرُبَّما جَعَلَتْكَ - لا قَدَّرَ اللهُ - تتركُ كلَّ أعمـالِ الشَّـرعِ من صـلاةٍ وصـيامٍ وحجٍّ وغيرِها وقد يقولُ لك الشَّيطانُ: لماذا تُصَلِّي وتُتعِبُ نفسَكَ وأنتَ لستَ ضـامنَاً الجنَّةَ أَصلاً" (الفتوى رقم 276448 للجنة الإفتاء الدائمة لموقع إسلام ويب).

ولعلَّ ما تقدَّمَ ذِكـرُه مِن تَنبيـهٍ على مسـألة اختيـار الـدّاعي للاسـم المُناسـبِ لمسألتِهِ وحاجتهِ وطَلَبِهِ من الله يقودُنا إلى مسألةٍ هامّةٍ جداً لعلّها تقعُ قريباً من هـذا الباب ألَا وهي مسألةُ "دُعاء الله تعالى بِصِفَاتِهِ العُلا" حيث وَرَدَتْ العديـدُ من الآيـاتِ القرآنيّة الكريمة والأحاديثِ النبويّة الشريفة التي نلمسُ فيها بكلّ جلاءٍ ووضوحٍ دعاءَ الله تعالى بصفاته العُلا، إضافةً إلى دعائـه سـبحانَه بأسـمائه الحُسـنى حيث سـنرى- في المَطلَبِ القادمِ – في العديدِ منها مدى تناسب دعـاء المسـألة مـع الصِّـفَةِ الـتي تُناسبُها من صفات المولى عزَّ وجـلَّ... ولم يَقِـف الأمـرُ عنـد " جـواز أم عـدم جـواز دعاء الله تعالى وسؤاله بصفاته العُلا " لا فقد ذَهَبَ بعضُ العلماء - رحمة الله عليهم - إلى القول بِجَوَازِ الحَلْفِ بأسماء الله وصفاته العُلا.

ولا بأسَ بالتّعريج – ولو في سطورٍ معـدوداتٍ – على بعضِ الأدِلّـةِ و الشَّـواهدِ التي يُعضَدُ بها القولُ بجواز الحلف بأسماء الله تعـالى الحُسـنى وصـفاتِهِ العُلا؛ حيثُ دَلَّت النُّصوصُ الواردَةُ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ على جَوازِ الحَلْفِ بِصِـفاتِ اللهِ تَعـالى، وهِيَ نُصوصٌ صَحيحَةٌ وارِدَةٌ في صَحيحَيِّ البُخاريِّ ومُسْلِمٍ، و قَـد اسـْتَدَلَّ بِها العُلَمـاءُ على ذِلـك: يَقـولُ الإِمـامُ البُخـاريُّ - رَحِمَـهُ اللهُ - في" بـابُ الحَلْـفِ بِعِـزَّةِ اللهِ وَصِـفاتِه وكلِماتِهِ" . وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: كانَ النَّبيّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقـول : أَعوذُ بِعَزَّتِـكَ. وقـالَ أبو هُرَيْـرَةَ عَنِ النَّبيِّ، صـلى اللهُ عليهِ وسلَّم: (يَبْقى رَجُـلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ فَيَقــول : يا رَبُّ اصـْرِفْ وَجْهي عَنِ النَّارِ، لا وعِزَّتِــكَ لا أســْأَلُكَ غَيْرَها) (العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخـاري**، كتـاب الأيمـان والنـذور، بـاب الحلف بعزّة الله وصفاته، ص554). وقال أَبو سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: قالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَـلَّم: (قـالَ اللهُ: لَـكَ ذِلـكَ وعَشـْرَةُ أَمْثالِـهِ) (العسـقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزّة اللـه وصـفاته، ص 554)ـ وقالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ: (وَعِزَّتِكَ لا غِنىً بِيْ عَنْ بَرَكَتِكَ)" (العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب الغُسل).

ومِنَ الأدلَّةِ على جواز الحلف بأسماء الله تعالى الحُسنى وبصفاتهِ العُلا حَديثُ "يُـؤْتى بِأَشـَدِّ النَّاسِ كـانَ بلاءً في الدُّنيا مِنْ أَهْـلِ الجَنّـةِ، فيقـول أصـبغوه صَـبغةً في الجنّة، فيصبغونه فيها صبغةً، فيقول اللهُ عزَّ وجَلَّ:" يا ابنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطْ أَو

شَيْئاً تَكْرَهُه؟ فيقول: لا وعِزَّتِكَ ما رأيتُ شيئاً أكرهُه قَطُّ، ثم يُؤتى بأنعم النـاس كـان في الـدنيا من أهل النـار فيقـول: أصـبغوه فيها صَـبغةً، فيقـول: يا ابنَ آدمَ هلْ رأَيْتَ خَيْراً قَطُّ, قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ ما رَأَيْتُ خَيْراً قَطُّ ، ولا قُـرَّةَ عَيْنٍ قَـطُّ" (**الألباني، سلسلةُ الأحاديث الصحيحة وشـيءٌ من فقهها وفوائـدها**، ج4، ص155).

ومِن الأدِلَّةِ كـذلكَ ما جـاء في "فَتْحِ البـاري" للحافِـظِ ابنِ حَجَـرٍ: "وقـالَ ابنُ هبـيرَةَ في كِتـابِ الإِجْمـاع: أَجْمَعـوا على أَنَّ اليَمينَ مُنْعَقِـدَةٌ بِاللهِ وبِجَميعِ أَسـْمائِهِ الحُسْنى وبِجَميع صِفاتِ ذاتِهِ كعِزَّتِهِ وجلالِهِ وعِلْمِهِ وقُوَّتِهِ وقُدْرَتِـهِ واسـْتَثْنى أَبو حنيفةَ عِلْمَ اللهِ فَلَمْ يَرَهْ يَميناً وكذا حَقُّ اللهِ.. وقالَ عِياضٌ: لا خِلافَ بَيْنَ فُقَهـاءِ الأَمْصـارِ أَنَّ الحَلْفَ بِأَسْماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ لازِمٌ إِلا ما جاءَ عَنِ الشَّافِعيِّ مِنْ اشْتِراطِ نِيَّةِ اليَمينِ في الحَلْفِ بالصِّفاتِ وإلا فلا كفَّارَةَ (العسـقلاني، **فتح الباري**، كتـاب الأيمـان والنـذور، باب الحلف بعزّة الله وصفاته، ص554).

المَطلبُ الثاني

وُجوبُ التَّفريقِ بينَ دُعاءِ الله تعالى بأَسمائِهِ وصِفَاتِهِ وبَينَ دُعاءِ الصِّفاتِ بِعَينِهَا

بـالعودة للحـديث عن دُعـاء العبد للـهِ سُـبحانه وتعـالى بِصِـفاتِهِ العُلا إضـافةً لأسـمائه الحُسـنى، فإنّهُ من المُهمِّ هُنا التّنبيـهُ إلى ضـرورة التَّفريق بين دُعــاء الله تعالى بِصِفاتِهِ وبينَ دُعاء الصِّفات نَفسِهَا؛ فالدُّعاء الأوَّلُ جائزٌ بينما الثَّاني مُحَرَّمٌ. وقَدْ نَبَّهَ أَهْلُ العِلْمِ على خَطَر هذِهِ المَسْأَلةِ، قَديمَاً وحَـديثَاً؛ ومن ذلك قولُ شَـيْخِ الإِسْلامِ ابنُ تَيْميةَ رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّ مَسْأَلةَ اللهِ بِأَسْـمائِهِ وصِـفاتِهِ وكلِماتِـهِ جـائِزٌ مَشْـروعٌ كما جاءَتْ بِهِ الأحاديثُ، **وأَمَّا دُعاءُ صِفاتِهِ وكلِماتِهِ فَكُفْرٌ باتِّفاقِ المُسْلِمينَ**، فَهَلْ يَقولُ مُسْلِمٌ: يا كلامَ اللهِ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني، وأَغِثْني، أَوْ أَغْــني، أَوْ يا عِلْمَ اللهِ، أَو يا قُــدْرَةَ اللهِ أَو يا عِــزَّةَ اللهِ أَو يا عَظَمَــةِ اللهِ وَنَحْــو ذِلــكَ؟! (ابن تيميــة، **تلخيصُ الاستغاثة**، ج1، ص181).

ولرُبَّما يسأل سائلٌ: كيفَ نَفهمُ – إذن - ما جـاءَ في النُّصـوصِ مِنَ الاسْـتِعَاذَةِ بِكلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ، وبِرضاهُ مِنْ سَخَطِهِ، وَنَحْو ذِلكَ ؟؟ والجَوابُ على هذا السُّـؤال أَنَّ هذا مِن الاسْتِعاذَةِ باللهِ مَعَ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بهِذِهِ الصِّفاتِ .

فَقَوْلُهُ - صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّم - في الحَـديثِ: "بِرَحْمَتِـكَ أَسْـتَغيثُ" (الألبـاني، **سلسلة الأحاديث الصـحيحة**، ج1، ص449) كـانَ مِنْ قبيلِ التَّوَسُّـلِ لا مِنْ قبيلِ دُعاءِ الصِّفَةِ، وهو يسـاوي في معنـاهُ قولَنا "أَسْـأَلُكَ يا اللهُ بِرَحْمَتِـكَ"، وقد وَرَدَ مِثـلُ ذلك في دُعاءِ الاسْتِخارَةِ: "أَسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُـدْرَتِكَ" (العسـقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتـاب الـدعوات، بـاب الـدّعاء عند الاسـتخارة).،، ومِثْلُ الاسْتِعاذَةِ بالصِّفَةِ، قَوْلُـهُ صَلَّى اللهُ عليْـهِ وسَـلَّمَ: "أَعـوذُ بِرضـاكَ مِنْ سَـخَطِكَ وبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ" (**صحيح مسلم**، كتـاب الصـلاة، بـاب ما يُقـال في الركـوع والسّجود)، وكقَوْلِـهِ صلَّى اللهُ عليْـهِ وسَـلَّمَ: "أَعـوذُ بِكلِمـاتِ اللهِ التَّامّـاتِ" (**صحيح مسلم**، كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار، الحديث رقم 4888).

ولمزيدٍ من التّوضيح وتجليةِ الأمر في بيان الفَـرقِ بين دعـاء الله تعـالى و بين دُعاء الصِّفَة بذاتها نقولُ: إنَّ عبـارة "أَسْـتَغيثُ رَحْمَتَـكَ". تعـني أَطْلُبُعَـوْثَ رَحْمَتِـكَ، وهذا دُعاءٌ للرَّحْمَةِ التي هِيَ صِفَةٌ.

أمَّا عبـارة "يا حَيُّ يا قَيُّومُ بـكَ أَسـْتَغيث". فهيَ دُعـاءٌ للحَيِّ القَيُّومِ فيهِ طَلَبُ الغَـوْثِ، وهـوَ يعـني "يا حَيُّ يا قَيُّومُ أَطْلـُبُ الغَـوْثَ". فَأَسـْتَغيثُ اسْـتِفْعالٌ دَالٌّ على طَلَبٍ.

كما إنَّ عبـارة " يا حَيُّ يا قَيُّومُ - بِرَحْمَتِـكَ - أَسـْتَغيثُ " إنّما هي دُعـاءٌ لِلحَيِّ القَيُّومِ فيهِ طَلَبُ الاسْتِغاثَةِ كما في المِثالِ السَّـابِقِ وفيهِ أَيْضـاً تَوَسـُّلٌ لِـذلِكَ الطَّلَبِ بالرَّحْمَـةِ، وهو يختلِـفُ تمـام الاختلاف عن قولِنا: "يا حَيُّ يا قَيُّومُ أَسـْتَغيثُ رَحْمَتَـك"، فَهذا طَلَبٌ مِنَ الصِّفَةِ، وذلِكَ لأنَّ الاسْتِغاثَةَ التي هِيَ طَلَبُ الغَوْثِ تَتَعدَّى بِنَفْسِـها إلى المَفْعولِ ولا تَحْتاجُ لأَداةِ الجَرِّ إذا كانَ المُـرادُ تَعَـدِّيها لِلمَفْعـول. وِ من هُنا نفهمُ قـولَ اللهُ تَعالى: (إِذْ تَسْتَغيثونَ رَبَّكُم) (9: الأنفال) ولَمْ يَقُلْ بِرَبِّكُم.

وبِهَذا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الحَديثَ لَيْسَ فيهِ اسْتِغاثَةٌ بالصِّفَةِ بِحالٍ من الأحوال .

ولرُبَّما يعترِضُ مُعتَرِضٌ على ما تقدَّمَ مِن كلامنا فيقـول: إذا كـانَ دُعـاءُ صِـفَة مِنْ صِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُفْرَاً، فَكَيْفَ نَفْهَمُ الأَدْعِيَةَ مِثْل "أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِـهِ مِن شَرِّ ما أَجِدُ وأُحاذِرُ " (**صحيح مسلم**، كتاب السلام، الحـديث رقم 2202)، "وأعـوذ بِكلِمـاتِ اللهِ التَّامّـاتِ مِنْ شـَرِّ ما خَلَـقَ"؟ (**صحيح مسـلم**، كتـاب الـذّكر والـدّعاء والتوبة والاستغفار، الحديث رقم 4888).

وفي الإجابة على هذا الاعـتراضِ نقـول: إنَّ قولـهُ – صـلّى اللـهُ عليه وسـلَّمَ – "أعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ"، كُلُّ هذا اسْتِعاذَةٌ بِصِـفاتِ اللهِ، ولكنَّ المُـرادُ هُنا هو المَوْصـوفُ تبـارِكَ وتعـالى. وقولُه – عليه الصَّـلاة و السّـلامُ - "أعـوذُ بِعِـزَّةِ اللهِ " فَهـوَ مِنْ بـابِ التوَسـُّلِ بِعِـزَّةِ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ إلى النَّجـاةِ مِنْ هـذا المَرْهوبِ الذي اسْتَعَاذَ به الإنسان صـاحب الـدُّعاء . وكـذلِكَ نقـولُ في قوله – عليه الصّـلاة والسّـلام - "بِرِضـاكَ مِنْ سـَخَطِكَ"، وكـذلِكَ قولـُهُ "يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِـك أَسْتَغيث"، فلا يعني أَنَّ الإِنْسانَ يَسـْتَغيثُ بالرَّحْمَـةِ المُنْفَصِـلَةِ عَن اللهِ، لكنَّ هـذا مِنْ بابِ الوَسيلَةِ، و مِنْ بابِ التوَسُّلِ إلى اللهِ بِصِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَـلَّ المُناسِـبَةِ للمُسـْتَعاذِ مِنْهُ أَو للمَدْعُوِّ، ولَيْسَ دُعاءَ صِفَةٍ. فَدُعاءُ الصِّفَةِ أَنْ تَقولَ "يا رَحْمَةَ اللهِ ارْحَميني"، " أو يا قُـدْرَةَ اللهِ أَعْطيـني" وما أَشـْبَهَ ذلِـكَ، فهـذا هُـوَ المُحَـرَّمُ. ولربّما يسـتَجِدُّ هنا اعتراضٌ آخَرُ يقولُ صاحبُهُ : إنَّ التَّوسُلَ إلى الله تعـالى بِصِـفاتِهِ غـيرُ جـائزٍ ولا دليـلَ عليهِ فكيفَ تُجيبونَ على ذلكَ ؟؟

وهذا الاعتراضُ ليس جَديداً وليس بريئاً وهو أخطرُ الاعتراضـات - الـتي يُجيبُ عليها هذا المَطلَبُ مِن البَحثِ - وذلك راجعٌ إلى أنَّ فيه فَصلاً للتَّوسُّلِ إلى الله تعالى بِصِفاتِه عَن دُعائهِ جَلَّ وعَلا بأسمائه وصِـفاتهِ مِمَّا يسـتوجِبُ الوقـوفَ عنـدهُ وتوضـيحَ

الحَقَّ والصَّوابَ فيـه... ولِلـردِّ عليه فإنَّنَا نـورد الشَّـواهد والأدلّة الشـرعيّة الـتي تُثبِتُ صحَّةَ التَّوَسُّل إلى الله تعالى بِصِفاتِه العُلا، والتي مِنها ما يلي:

الـدَّليلُ الأوَّل: حـديثُ "يَا مُقَلِّبَ القُلُـوبِ ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينِـكَ" (العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب الجهاد والسِّير، الحديث رقم 2861).

فَعَن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قَـالَ: (كَـانَ رَسُـولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يُكْثِـرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُـوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِـكَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِـكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: (نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْـبُعَيْنِ مِنْ أَصَـابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) (**سنن الترمذي (الجامع الكبـير)** ، الحـديث رقم 3522، ج5، ص4023).

وفي حـديثِ عائشةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قـالت: يا رسـول اللَّه، إنَّكَ تُكثِـرُ أن تدعوَ بِهَذا الدُّعاءِ؟

فقـالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْـبُعَيْنِ مِنْ أَصَـابِعِ اللَّهِ عز وجل فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ) (**سُنَنُ الترمـذي**، الحـديث رقم 2140، ج4، ص16).

وقَولُهُ: (إنَّ قُلُوبَ) تَعليلٌ لِسَبَبِ دَعوتِـهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهي **أنَّ** قُلُـوب العِبَادِ بينَ إصْبَعَين مِن أصَابِعِهِ، مَنْ يَشَأ يُضلِلْهُ، ومَنْ يَشـأ يَهدِهِ، فَيَنبغي لِلْعَبدِ الإكثَـارُ مِن هَذهِ الدَّعواتِ المُهِمَّةِ التي تَتَعَلَّقُ بِأجَلِّ مَقَامَاتِ العُبُودِيَّةِ .

الدَّليلُ الثّاني: حـديثُ "اللَّهُمَّ مُصَـرِّفَ القُلُـوبِ صَـرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ " (**سُـنَنُ النِّسـائي (السُـنن الكُـبرى)**، الحـديث رقم 7690، ج7، ص 156).

ومعنى قوله: (**صَرِّفْ قلوبَنَا علَى طَاعَتِكَ**): أي ثبِّت قلوبَنا، واصرِفها إلى طاعتِــكَ ومَرضـــاتِكَ في كُـــلِّ ما تحبُّهُ من الأقـــوال، والأعمـــال والأخلاق. ومعـــنى قولُهُ: على [طَاعَتِكَ] أيْ (أَنْ يَنقَلِبَ القَلبُ مِن طَاعَـةٍ إلى طَاعَـةٍ أُخـرى، مِن صـلاةٍ إلى صيامٍ إلى زكاةٍ) (**صحيح مسلم**، كتـاب القَـدَّر، الحـديث رقم 4804)، فَسَـأَلَ النَّبِيُّ اللَّهَ تعالى الثَّبَاتَ على الدِّينِ جُملةً وتفصيلاً، وقَد دلَّ الحديث والذي بعـده على أهميَّةِ التَّوسُّلِ إلى اللَّه تباركَ وتعالى بأفعالِهِ ومِنهَا (التَّصريف).

الدَّليل الثّالث: عَنْ عَبْـدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى: إِنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَـدُوَّ انْتَظَـرَ حَتَّى مَـالَتِ الشَّـمْسُ ثُمَّ قَـامَ فِي النَّاسِ فَقَـالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَـاءَ الْعَـدُوِّ وَسَـلُوا اللَّهَ الْعَافِيَـةَ فَـإِذَا لَقِيتُمُـوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَـابِ وَمُجْـرِيَ

السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ" (العسقلاني، **فتح الباري**، كتـاب الجهاد والسِّير، الحديث رقم 2861).

قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ العَسقَلاني في "فَتح الباري بِشَرحِ صحيح البُخاري" عندَ شـرحِهِ لهـذا الحـديث الشّـريف: أَشَـارَ بِهَـذَا الـدُّعَاء إِلَى وُجُـوهِ النَّصْـر عَلَيْهِمْ **فَي الْكِتَابِ** إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَـذِّبهُمْ اللَّه بِأَيْـدِيكُمْ) **وَبِمُجْـرِيَ السَّـحَاب** إِلَى الْقُدْرَة الظَّاهِرَة فِي تَسْخِير السَّحَابِ حَيْثُ يُحَـرِّك الـرِّيحَ بِمَشِـيئَةِ اللَّه تَعَـالَى، وَحَيْثُ يَسْتَمِرُّ فِي مَكَانه مَعَ هُبُوب الرِّيح، وَحَيْثُ تُمْطِر تَارَةً وَأُخْرَى لَا تُمْطِرُ، فَأَشَارَ بِحَرَكَتِـهِ إِلَى إِعَانَة الْمُجَاهِـدِينَ فِي حَـرَكَتهمْ فِي الْقِتَـال، وَبِوُقُوفِـهِ إِلَى إِمْسَـاك أَيْـدِي الْكُفَّار عَنْهُمْ، وَبِـإِنْزَالِ الْمَطَر إِلَى غَنِيمَة مَا مَعَهُمْ حَيْثُ يَتَّفِق قَتْلهمْ، وَبِعَدَمِـهِ إِلَى هَـزِيمَتهمْ حَيْثُ لَا يَحْصُل الظُّفْر بِشَيئ مِنْهُمْ, وَكُلّهَا أَحْوَال صَالِحَة لِلْمُسْلِمِينَ.

وَأَشَارَ **بِهَازِمِ الْأَحْزَاب** إِلَى التَّوَسُّل بِالنِّعْمَةِ السَّابِقَة، وَإِلَى تَجْرِيد التَّوَكُّل، وَاعْتِقَاد أَنَّ اللَّه هُوَ الْمُنْفَرِد بِالْفِعْلِ.

المَطلبُ الثّالثُ

لطائفُ ومُتَفَرِّقاتٌ وتنبيهاتٌ في الدُّعاء بالأسماء والصِّفات

من الثابت والمعلوم من خلال استقراء النُّصوصِ الشَّرعيّةِ في كُـلٍّ من كتـاب اللهِ عزَّ وجَلَّ وسُـنَّةِ رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم أنَّ دُعـاء اللـه تعـالى بأسـمائه وصفاته ينقسم إلى نوعين:

أما الأول: فهو دعاءُ الثَّنَاء والعبَادة، وأمَّا الثاني فهو دعاء المَسألة.

والذي يُستَحسَنُ هوَ أن يلجأَ الإنسانُ عند سـؤاله اللـه عـزَّ وجـلَّ إلى توظيـف هذين النوعين من الدعاء؛ وذلك بأن يَجعلَ دعاءَ الثناء مُقَدِمَةً وتوطئةً يبني عليها بعد ذلك دعاءه لله تعالى بالمسـألة والطَلَبِ. ولعلَّنـا نلمس مـا يماثـل هـذا الـترتيب في حياتنا اليومية - ولله المَثَلُ الأعلى - فإنّ واحدنا إذا أرَادَ طلبَ حاجةٍ أو قضاءَ مَصلَحَةٍ مِن المسؤول عنه، قدَّمَ له الأمرَ بمدحه وإطرائه والثناء عليـه وإنزالـه المنزلـة الـتي يحبها وناداه وذكره بالصفات والألقاب التي يحبها وتليق به ثمَّ نراه بعـد ذلـك يعـرض مسألته وحاجته التي يطلبُ منه تلبيتها وتحقيقها ممّا يساهم في اسـتمالة المسـؤول لتلبية طلبه.

ولئن كان هذا الأسلوب قائماً موجوداً بيننا نتعامل به مع من نرجو منهم قضـاء حاجاتنا ومصالحنا من البشر، فإنّه من بـاب أولى أو من بـاب الأولى أن نوظـف هـذا الأسلوب والطريقة عندما نقـفُ بين يـدي اللـه سـبحانه وتعـالى طـالبين منـه قضـاء حاجاتنا وإجابة دعواتنا.

أقولُ: إنّ هناك الكثير من المُقدِّمات التي يَجمُلُ بالمُسـلم البـدءُ بهـا قبـلَ أن يُخَصِّصَ دعـاءه بالمسـألةِ بين يـدَي المـولى عَـزَّ و جَـلَّ ، ومِنهـا مـا يَتَمثَّلُ في إتيـان الخطوات التّالية (النّحلاوي، **الدُّعاءُ بِبَسَاطة**، ص5):

البدءُ بِنداءِ التَّوحيـد للـه تعـالى قبـل تخصـيص الـدعاء، ومِن ذلـكَ على سـبيل المثال ما يلي:

- أن ندعوه بـ: "لا إله إلا أنت" ثُمَّ نُحَدِّدُ طلَبَنا، كما في دعاء "سيّد الاستغفار"، وهو قولُه صلَّى اللهُ عليـه وسلَّمَ: (اللَّهُمَّ أنت ربّي لا إلـه إلَّا أنت، خلقتـني وأنـا عبدُك، وأنا على عهـدك ووعـدك مـا اسـتطعت، أعـوذ بـك مِن شرَّ مـا صـنعتُ. أبـوءُ لك بِنِعمَتِكَ عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت) (العسـقلاني، **فتح الباري**، كتاب الدّعوات، الحديث رقم 5947).

- أو ندعوه بأنه تعالى وليُّنا ومولانا، لا وليَّ لنا سواه سبحانه، كما في دعاء موسى -عليه السلام - طالبًا المغفرةَ لقومه حين أخذتْهُم الرَّجفةُ إذ دعا ربَّه: أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (**الأعراف** : 155) فأجاب اللهُ تعالى سُؤْله، وأحياهم بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم.
- التسبيح: كما في دعاء يونس – عليه السَّلام - وهو في بطن الحوت؛ قال تعالى: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (**الأنبياء** : 87).
- الاستغفارُ وطلبُ العَفو والاسترحام، و قَد قِيلَ: إنَّ الرَّحمةَ أوسعُ من المغفرة والعفو، وهيَ كثيرًا ما تتلازم قبل أو خلال أو بعد الدعاء، وبدعائنا بها خُتِمَت سُورةُ البقرة، بختامٍ جاء في عظيمِ فضلهِ، وقد جاء في الصّحيحينِ قولُه، صلّى الله عليه وسلم: (مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفَتَاهُ) (العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم 4723) ولعلَّ مِن أسرار فضلهما تلك المناجاة لله تعالى، ندعوه بها سبحانه إذ نقرؤهما: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (**البقرة** : 286) وأيُّ فضلٍ أكبرُ من أنَّه تعالى علَّمَنَا وحيًا أن ندعوه سائلين التجاوز عن بشريتنا المشوبة بالخطأ والنسيان، تفضيلًا لنا على أممٍ سبقتنا، وأنه قد علَّمَنَا أن ندعوه طالبين العفو والمغفرة والرحمة منه! كلها دفعة واحدة بين يدي دعائنا بالنصر، رباه، ما أكرمك! وما أضألنا وأفقرنا لهذا الفضل! بل وفوق كل ذلك وبحق إنك "مولانا" نطلب منك النصر المبين! سبحانك سبحانك غفرانك!
- ومن أساليب الدعاء: الحَمدُ، وهو يتلازم مع الإخلاص؛ قال تعالى: هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (**غافر**: 65)، وإن سورة الفاتحة لَهيَ دعاءٌ يقدّم المسلم بين يديه ما ذكرناه من محامد وثناء وتمجيد لله تعالى قبل أن يسوق حاجته، وكذلكَ فإنَّ مِن أجلِّ الأدعية ما يجمع التسبيح والحمد والاستغفار سورة " النصر."

ولقد كانت سورة الفاتحة أسبقَ من غيرها من سور القرآن الكريم إلى الجمع بين دعاء الثناء والعبادة من جهةٍ وبين دُعاء الطلب والمسألة من جهةٍ أُخرى؛ فَفي الحَديثِ الذي يَرْويهِ أَبو هُرَيْرةَ عَنِ النّبيِّ- صلى الله عليه وسلم -أنَّه قال: "قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عَبْدي نِصْفَينِ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ:

{الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين}. قال اللهُ: حَمدَني عَبْدي. فإذا قال: {الـرِّحمنِ الـرَّحيمِ}. قال: أثنَى عَليَّ عَبْدي. فإذا قال: {مالكِ يَوْمِ الدِّين}. قال: مَجَّدني عَبْدي. وقالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إليَّ عَبْدِي. وإذا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعينُ}. قال: هذا بَيْـني وبَيْنَ عَبْـدي، ولِعَبْدي ما سَأَلَ. فإذا قال: {اهدنا الصِّـراطَ المُسْـتَقيمَ، صِـراطَ الـذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغْضوبِ عَليْهِم ولا الضَّالين} (**الفاتحة** : 5، 6، 7: الفاتحة). قال: هذا لِعَبْدي، ولعَبْديِ مَا سَأَلَ" (**صحيح مسلم**، كتاب الصّلاة، الحديث رقم 395).

ويرى الدّكتور مُحمَّدُ بن إبراهيم الحَمَد أنَّ قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" (**الأعراف** : 180). يشملُ دعاءَ المسـألةَ ودعـاءَ العبـادةِ معَـاً. ويوضِّـحُ ذلك بقولهِ: "أما دعاء المسألة فإنَّ السّائل يسأل الله- تعالى- في كُلِّ مطلوبٍ باسمٍ يُناسِبُ ذلك المطلوبَ ويقتضيه؛ فَمَن سَأَلَ رحمةَ الله ومغفرتـه دعـاه باسـم الغفـور الرحيم، ومَن سأل الرزق سأله باسم الرزَّاق، وهكذا....

أَمَّا دُعـاءُ العبـادةِ فهـو التعبُّدُ للـه تعـالى بأسـمائهِ الحُسـنى، فَيَفْهَمُ السّـائلُ (الـدّاعي) أولاً معـنى الاسم الإلهي الكـريم، ثُمَّ يُـديمُ استحضـارَه بقلبهِ حتَّى يمتلىء قلبُـه مِنهُ؛ فالأسـماءُ الدَّالَّةُ على العَظَمَـةِ والكبريـاءِ تملأ القلبَ تعظيمـاً وإجلالاً للـه تعـالى ... والأسـماءُ الدَّالَّةُ على الرحمـة، والفضـل والإحسـان تملأ القلبَ طَمَعَـاً في فضل الله ورجاءَ رَوْحِه ورحمته.

والأسماء الدَّالَّةُ على الوُدِّ، والحُبِّ، والكمـال تملأ القلبَ محبَّةً، وَوُدّاً وإنابةً إلى الله تعالى. وأمَّا الأسماءُ الدَّالَّةُ على سعةِ عِلمِـهِ ولطيفِ خُـبرهِ فإنَّهـا تُـوجبُ مُراقبةَ الله والحياءَ منه وهكذا....

وهذه الأحوالُ التي تَتَّصِفُ بها القلوبُ هي أكملُ الأحوال، وأَجَلُّ الأوصـاف، ولا يـزالُ العبدُ يُجاهـد نفسَـه عليهـا حتّى تنجذِبَ نفسُـه وروحُـه بدواعيهِ مُنقـادَةً رَاغبةً، وبهذه الأعمال القلبيَّة تَكمُلُ الأعمالُ البدنيَّةُ. وإذا ذُكِرَ اللهُ -عزَّ وجَلَّ- وأُثنِيَ عليهِ بِمَا هـو أهلُـه، فـإنَّ ذلـك يتضمَّنُ إظهـارَ الذُّلِّ، والمحبَّةِ، والسُّـؤالَ بِلِسَـانِ الحـال؛ فكأنَّه يقولُ: يا ربُّ أَذكُرُكَ إجلالاً لكَ وَمحبَّةً ورجاءً.. وهكذا يتبيَّنُ لنا معـنى دعـاءِ المَسـألة ودعاءِ العبادة ومـدى التَّلازُمِ بينهما" (الحَمـدُ، **بين دعاء المسـألة ودعـاء الثّنـاء**، فتوى صادرة عنه بتاريخ 21/4/2004)...

لا يخفى على أحدٍ مِنَّا مدى غيـابِ الـدُّعاءِ بالأسـماء الحُسـنى و الصِّـفات العُلا كَمَنهَجٍ عن حياة المُسلمين اليوم، وكذلكَ فإنَّهُ لا يخفى على أحدٍ مدى خطورةِ غيابــهِ كَمنهجٍ تطــبيقِيٍ عَمَلِيٍ، وذلــكَ لأنّ في غيابــه تعطيلاً للــدُّعاءِ بهــا، وإضــعَافاً للتَّعلُّقِ بالمَولى عزَّ وجلَّ مِمَّا يقودُ إلى الرُّكون إلى الدُّنيا فإنَّ المسلم الذي وقع في مُشكلةٍ

أو مُصيبةٍ وكان من المُعَطِّلِينَ لدُعاءِ الله تعالى بأسمائه وصفاته والغـافلينَ عنـه فإنَّهُ سَـيلجأ إلى الحُلُـولِ الدُّنيويّـةِ والمَادّيَّةِ و إلى النَّاس لِكَي يُعينـوهُ على الخـروج مِن مُصيبتِهِ وتجاوزِ مِحنتِهِ وهذا أمرٌ- مِن كُلِّ بُدٍ عندَ البُعـدِ عن اللـه - سَـيَطولُ وسـيكونُ مُؤلِمَاً . ومـا أقسَـى الحيـاةَ حينَ يلجـأُ المَـرءُ إلى أهلهـا ويُصـابُ المَـرَّةَ تلـوَ الأُخـرى بِخَيبَـات البَشَـرِ ووعـودهم الكاذبـة وخُـذلانِ البَعضِ لـه ! أمّـا عنـدما يتعلَّقُ بالـدُّعاء بالأسماء والصِّفات ويلتزم بها فإنه سيلمسُ - مِن كُلِّ بُدٍّ - أنَّ وعـدَ اللـهِ حـقٌّ وأنـه لا يُخلِفُ الميعادَ ولا يخذلُ عبادَهُ المُؤمـنينَ الـذين يدعونـه بمـا أمـرهم بـه من الأسـماء (ولله الأسماء الحُسنى فادعوه بها) (**الأعراف** :180)، ولو لم يَكُنْ النَّصرُ والتوفيـقُ وإجابةُ الدّعاء حليفَ العبدِ المُلتَجِئ إلى الله لمَا أمره اللهُ تعالى بذلك ابتداءً ، حاشاه أن يردّ عبداً دعاه. وهذه الحقيقة يؤكدها قول الحبيب المصـطفى (إنّ اللـه يسـتحيي إذا رفعَ إليه عبدهُ يديه بالدعاء أنْ يُردّ عليه يديه صفراً)(*)، وكيف لا وهو مالكُ خـزائن السموات والأرض وبيدهِ مَقاليدُها!!!

ولَرُبَّما يتساءِلُ مُتسائلٌ: كيفَ يكونُ الدُّعاء بالأسماء الحُسـنى والصِّـفات العُلا منهجاً عَمَلِيّاً تطبيقيّاً كما ذُكِرَ قبلَ قليلٍ؟؟

والإجابةُ على هذا التّسـاؤلِ المُفيـدِ تكمنُ في التَّعبُّدِ بهـذه الأسـماء والصِّـفات في حياة المُسلمِ و ذلك يُسمَّى – كما سيأتي – عنـد العُلمـاء دُعـاءَ العِبـادة ؛ والـذي يعني في أوضح معانيه أنْ تَتَعَبَّدَ اللهَ بما تقتضيهُ تلكِ الأسماءُ؛ "حيثُ أنَّهُ يُطلَـقُ على الدَّعاء "عبادة"، قال تعالى: {وقالَ ربُّكم ادعُوني أَستَجِبْ لَكُم إنَّ الـذين يَسـتكبِرُون عِن عِبَادتي سَيَدخلونَ جَهَنَّم داخِرين} (غافر : 60)، فالله تعالى قـال في هـذه الآيـة الكريمـة "عَن عِبـادتي" ولم يقـل: "عَن دُعـائي"، فـدلَّ ذلـكَ على أنَّ الدُّعاءَ عِبَـادَةٌ. فاسمُ الرّحيم مَثَلًا يدُلُّ على الرَّحمة، وَحينَئِذٍ تَتَطَلَّعُ نَفسُ الدّاعي إلى أسباب الرحمة وتفعلها.

واسمُ الغفور يدلُّ على المَغفـرةِ، وَحينَئِـذٍ تتعرَّضُ نَفسُ الـدّاعي لمغفـرةِ اللـه عَزَّ وَجَلَّ بكثرةِ التَّوبة والاستغفار كذلكَ وما أشـبه ذلـك. واسـمُ القـريبِ يقتضـي أَنْ تتعرَّضَ النَّفسُ إلى القُرب منهُ – سُبحانه - بالصَّلاة وغيرهـا، وأقـربُ مـا يكـونُ العبد مِن ربِّهِ وهو ساجدٌ. واسمُ السـميع يقتضـي أنْ يَتَعَبَّدَ الـدّاعي للهِ بِمُقتضَـى السَّـمع، بحيثُ لا تُسمِعُ اللهَ قـولًا يُغضبُهُ ولا يرضـاهُ منـه. واسـمُ البصـير يقتضـي أن يَتَعَبَّدَ الدَّاعي اللهَ بِمُقتَضَى ذلكَ البَصَـر بحيثُ لا يُـري الله مِنـهُ فِعلًا يكرهُـه سُـبحانه" (ابن العُثيمين، **القولُ المفيدُ على كتاب التّوحيد**، ص316).

---

*(*) سَبَق تخريجه.

إنّ المسلم إذا دعا اللهَ تعَالَى وتقرَّبَ إليـه بالـدُّعاءِ بأسـمائه الـتي يُحبُّهـا جـلَّ جلالُه وبصفاته التي اختار جلَّ جلالُه الاتِّصافَ بها فإنَّ المُسـلم يجب أن لا يغيبَ عن ذهنهِ الأمورُ الأربعةُ الهامَّةُ التّالية:

أمَّا الأمرُ الأولُ: فهو أنَّ اللهَ تعالى يسـمعُ الـدُّعاء و أنَّهُ – سُـبحانه – قـريبٌ مِن عباده الدَّاعينَ، وأنَّهُ يستجيبُ لهم ولو بَعدَ حينٍ، قال تعـالى: "إنَّهُ سَـميعٌ قـريبٌ" (**سبأ** : 50). وقال تعالى: "إنّ ربي قريبٌ مُجيبٌ" (**هـود** : 61). عن أبي موسـى رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: كُنَّا مع النبيِّ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في سـَفَرٍ فكُنَّا إذا علَونـا كَبَّرنَا فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "أيُّها النـاس اربعـوا على أنفُسـِكُم فـإنَّكم لا تـدعون أَصَـمَّ ولا غائباً ولكنْ تَـدعونَ سَـميعاً بَصـيراً... الحـديث " (العسـقلاني، **فتح الباري**، كتاب الدّعوات، الحديث رقم 6021).

وأمَّا الأمرُ الثّاني: فهوَ أنَّ اللـه تعـالى لا يَنسـى دعـاءَ عبـدهِ مهمـا تـأخَّرت الإجابةُ ، وقد وعَـدَهُ بالإجابـة ولـو بعـد حين، وحـتى لـو نسـيَ العبـدُ نفسُـهُ المسـألةَ والحاجةَ التي دعا الله تعالى لتحقيقها له. قال تعالى: "وما كان ربُّكَ نَسِيَّاً" (**مريم** : 64).

أمَّا الأمرُ الثَّالثُ: فهوَ أنّ الله عزَّ وجلَّ مُتَّصِفٌ بكمال القـدرة والعطـاء وأنَّهُ طَلَبَ منّا أن ندعوَهُ ليُعطيَنا، وكُلُّ ما في الكون سهلٌ ويسيرٌ عليه تبارك وتعـالى (إنَّ ذلك على الله يسيرٌ) (الحجُّ : 70). ولو أنَّ اللهَ تعـالى أجـابَ كُـلَّ مطـالب ودعـوات أهل الأرض جميعاً في وَقتٍ واحـدٍ لمـا أنقَصَ ذلـك مِن مُلكـهِ تعـالى شـيئاً ولـو كـان يسيراً، ويشهدُ لِصِحَّةِ هذا الكلامِ قولُهُ تعالى في الحديث القُدسيّ: "يا عِبَادِي! لَـوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِـدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِـلَ الْبَحْـرَ. يَـا عِبَـادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَـا؛ فَمَنْ وَجَـدَ خَيْـرًا فَلْيَحْمَـدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ" (**صحيح مسلم**، كتاب البِّر والصِّلة، الحديث رقم 2577). ولكنّنا في كثيرٍ من الأحيان نقعُ فريسةَ الاستعجال.

وأمَّا الأمـرُ الرّابـعُ: والأخـير الـذي ينبغي ألَّا يغيبَ عن ذهن المُسـلم أثنـاء دُعائه الله تعالى: فهوَ أنَّ الله إنْ صرفَ عنهُ أمـراً يريـدُ العبـدُ تحقيقَـهُ ويتمنَّاهُ فـإنَّ الله هو العَليمُ وهوَ علَّامُ الغُيوب، وأنَّهُ سُبحانه – وحدَهُ - يعلمُ ما هو أنسـبُ وأفضـلُ للعبد. قال تعالى: " إنَّهُ يَعلَمُ وأنتم لا تَعلَمُون" (**البقرة** : 216).

إنَّ الدَّاعي إذا غَفلَ عن هذه الأمورِ الأربعةِ السّـابقةِ مـع شـواهدها فإنَّهُ يكـونُ قد عَطَّلَ – أو على الأقلّ – لم يَـعِ ولَم يعقِـل أسـماء اللـه الحُسـنى الـتي وردت في الشواهد السّابقة وهي (السّميع والقريب والمُجيب والعليم)، واللهُ تعالى أعلم.

إنَّ العبدَ الذي يريدُ أن يسأل اللهَ ويدعوه بأسمائه وصِفاتهِ لَحَرِيٌّ بهِ أن يَتَخَلَّقَ بالأَخلاقِ والقِيَمِ والمبادئ والأحكام والمَدلولات والمعاني التي تحملها الأسماءُ الإلهيَّةُ الحُسنى والصِّفاتُ العُلا.

وقد يقول قائلٌ إنّ مسـألةَ دعـاء اللـه بأسـمائه وصـفاته هيَ مِن المُسَـلَّمَات. والإجابـةُ على هـذا القَـولِ هيَ: إنَّ المصـيبةَ تكمُنُ في غيـاب هـذه المُسَـلَّمَات عن الكثـيرين من المُسـلمين والمُسـلمات، واللـهُ وحـدَهُ يعلمُ كم أَهلَكَنَـا غيـابُ هـذه المُسَـــلَّمَات؛ أَلَيسَـــت المحبَّةُ والتكافـــلُ والتَّراحمُ والتناصُـــرُ بين المُســـلمين مِن المُسَلَّمات؟؟ بلى إنَّها كذلك، ولكنَّها مُسَلَّماتٌ غائبةٌ - أو فَلنَقُلْ مُغَيَّبَةٌ - بفعـل العبـادِ وتقصيرهم، وَلنَنظُر إلى حالِ الأمّة بسبب غياب أو تغييب وتعطيل هذه المُسلَّمات.

ونحن إذ نقولُ هـذا الكلامَ فإنَّنـا نُخـاطِبُ ونستشـعرُ الواقـعَ المُعاصِـرَ المُـؤلمَ للمسلمين الذي تتبدّى فيه الحاجةُ إلى دعـاء الخـالق بأسـمائه وصـفاته أكـثرَ من أيِّ عصرٍ مضَى على الأُمَّةِ في تاريخها؛ فَعَصرُنَا هـذا - وللأسـف - " فَهُـوَ عصـرُ الضّـعفِ والمَذَلَّةِ والمَهَانةِ وانعـدامِ القـوَّةِ واختفـاءِ عوامـل الاسـتعداد والنَّصـرِ، وهي عوامـلُ ينـادي مجمُوعُهـا على أبنـاء الأمَّة: إنَّهُ لم يبـقَ لكم سـوى التَّوجُّهِ إلى اللـه تعـالى والاستغاثة والاستعانة به وحده بهذا الأمر وحده هو المتبقي والمُتاح لهـذه الأمــة في مواجهة الأزمات لتقوية المناعة أمام رياح السـمّوم وللـدّفاع عن النفس في معـارك القهر والاجتثاث" (النّحلاوي **الدُّعاء ببساطة**، ص3).

من الواضـح أن الكثـيرين من أبنـاء الإسـلام الـذين غفلـوا عن دعائـه تعـالى بأسمائه وصفاته إمّا أنهم لا يعرفون أن الله تعالى قد أمرهم بذلك في كتابه الكــريم في أكثر من موضعٍ، وإمّا أنهم يعرفون ولكنَّهم يَرَونَ أنَّ الأخذ بالأسـباب الماديّـة هـو وحدَهُ الذي يُجدي ويجلب الخير ويحقِّقُ المنفعةَ لهم، وإمّا أن يكونوا في نِعمةٍ وسعَةٍ مِن العَيش فيظنُّونَ أنهم ليسوا في حاجةٍ للـدعاء!! وإمّـا أنْ يكونـوا على درجـةٍ من التقصير والإهمال و"اللامبالاة" كمـا هـو حـال الكثـيرين من هـذا الجيـل الناشـئ بين أيدينا، وإمّا أن يكونوا من المسـتعجلين في الـدعاء المسـتبطئين الإجابـة دَعَـوا مـرّةً ومرةً ولم يلمسوا استجابةً سريعةً مُفترضةً فتركوا الأمر بكُلِّيتـه وأعرضـوا ... وهـذه الحالات التي أوردناها خلفَ "إمَّا التّفصـيليّة" إنَّمـا هي مصـائبُ وكـوارثُ بحـدِّ ذاتِهـا، والعياذ بالله.

ممّا لا شك فيه أنّ العبد عندما يـدعو اللـه تعـالى بأسـمائه الحسـنى مثـل (يـا رزَّاقُ ابسط لي الرزق، يا ناصرُ انصرني، يا مُغيثُ أغثـني ...) فـإنَّ في ذلـك إظهـاراً لمدى افتقار العبد إلى الله تعالى وحاجته الماسّة إليه وإلى رزقـه ونصـره وغيثـه ... كما أنّ فيه التجرّد الواضـح والتـبرؤ الصـادق من كـلِّ حَـوْلٍ وقـوةٍ إلا من حـول اللـه تعـالى وقوتـه ولـذلك يـدعوه، وكـذلك فنحن مـأمورون بـدعاء اللـه تعـالى بأسـمائه الحُسنى ففيها الدلالة على اتّصاف الله تعالى بهـذه الصـفات وتحققهـا فيـه وتجردنـا منها وعدم تحققهـا فينـا، وهـذا أمـرٌ يُوافـق الفِطـرةَ السـليمةَ ويتماشـى مـع العقـل والمنطق السليم فلو أنّ العبد - مَثَلاً - كان قـادراً على أن يـرزق نفسـه بنفسـه لمـا دعا الله تعالى أن يرزقه، ولو كان قادراً على أن يُغيث نفسه بنفسـه لمـا سـأل اللـه تعالى الغيث.

ولعلَّ الوجهَ الأوضح لاتّصاف الله تعالى بهذه الصـفات ولتجـرُّدِ وخلـوِّ الإنسـان منها هو دُعاء الله تعالى بهذه الأسماء والصفات ، مع الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعـالى مُتَّصفٌ بها اتّصافَ كمالٍ مُطلَقٍ لا نقصَ فيه .. وبهذا الدعاء وبهذه الأسـماء الحُسـنى والصّفات العُلا يمدُّ اللهُ تعالى العبدَ بمـا يطلبـه ويرجـوه ويرفـع عنـه مِن البلاء مـا لا يعلمه إلَّا هو سبحانه.

إنّ دعـاء اللـه تعـالى بأسـمائه وصـفاته لَهُـوَ سـلاحٌ عظيمٌ، لا بَـل هـو السِّـلاحُ الأعظمُ، ومَن الـذي يغفـل عن سـلاحه في معركـة الحيـاة إلا المُقصِّـر الكسـول الغافل؟!! وحتّى يكون السلاحُ ذا فاعليةٍ فلا بُدَّ من إجادة استخدامه وإتقان توجيهـه، وذلك بلزوم التَّدَرُّبِ عليه وممارسة الرمي به ولزومه أطولَ فترةٍ مُمكنةٍ دونَ تغافلٍ أو سهوٍ أو كسلٍ ، مع اعتقاد الداعي بأنّ سلاحَه سيُصيبُ الهدفَ لا محالةَ ولا شـكَّ . وكيفَ لا ؟ وقد وعده اللهُ تعالى بإصابة هذا الهدف أَلَا وهو الاستجابةُ . وهذا السـلاحُ يرمي به المسلمُ عن نفسه وعن أخيه المسلم وعن جماعة المُسلمين ويتوضَّحُ ذلك في حثّ الرسول - صلّى الله عليه وسلَّم - على الدعاء للمسلمين أفراداً وجماعـاتٍ بِظَهرِ الغيب (دعوةُ المرء المسـلم لأخيـه بظهـر الغيب مُسـتَجَابَةٌ، عنـد رأسـه ملـكٌ موكـلٌ كُلّمـا دعـا لأخيـه بخـيرٍ، قـال الملَـك المُوَكَّلُ بـه: آمين ولـكَ بِمِثـلٍ) (**صحيح مسلم**، كتابُ الذِّكر والدّعاء والتوبة والاستغفار، الحديث رقم 2732).

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث الـذي أخرجـه الإمـامُ مُسـلم: وفي هذا فضل الدُّعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعةٍ مِن المسلمين حصلَت هذه الفضيلة، ولو دعا لجُملةِ المسلمين فالظَّاهرُ حصولها أيضاً، وكـان بعضُ السَّـلَف إذا أراد أن يدعو لنفسِهِ يدعو لأخيه المُسلمِ بتلك الدَّعوةِ ، لأنها تُستَجَاُب ويَحصُلُ له.

"الدُّعاءُ استراحةُ المـؤمن مِن الهمـوم، وسـاحةٌ مفتوحـةٌ لِمَن يريـدُ حقَّهُ مِمَّن ظَلَمَـهُ، وهـو طريقٌ مُمَهَّدُ لمَن يطمـع في الـدرجات العليـا في الـدنيا والآخـرة، وإذا كانت الحاجات كثيرةً، والعمل لا يُعين، كانَ الدُّعاء والطلب مِمَّنْ بيده تـدبيرُ الأمـور، الذي يكشف الضُّرَّ والسُّوء، ويجعـل العسـير يسـيراً، والمسـتحيل مُمكنًـا، قـال اللـه تعالى: {أمَّنْ يُجيبُ المضُطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوءَ ويجعلُكُم خُلفاءَ الأرضِ أَإِلَهٌ معَ اللهِ قليلاً مَا تَذَكَّرُونَ} (**النّمل** : 62) *(بلا اسم كـاتب، مقالـة (وقـال ربُّكم ادعـوني أستجب لكم، 2017).

ولعـلَّ مِمَّا يحسـنُ ذِكـرُهُ والتـذكير بـه أنّ الأمـر للنـاس بـدعاء اللـه بأسـمائه وصـفاته هـو خُصُوصِـيَّةٌ لأُمَّةِ الإسـلام، وأنَّ الأمـر بـذلك لم يَـرِدْ في التـوراة ولا في الإنجيل الموجودَينِ بين أيدينا على ما نعلم من دراستنا لهما، ويُفهم من ذلك أن الله تعالى يريد أن يفتح لهذه الأمة أبواباً من الخير لم يسـبق فتحُهـا لأهـل الكتـاب وهـذا حُبٌّ من الله تعالى لهذه الأمة واصطفاءها ورفعٌ لقدرها ومكانتها.

ومع التأكيّد على ما سَلفَ ذِكرُهُ من أهميّـة الـدعاء بشـكلٍ عـامٍ ، ودعـاءِ اللـه تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا على وجه الخصوص، فإنّـهُ يجب التَّنبيّـه إلى أنَّ حديثَ "الدُّعاءُ مُخُّ العبادة" حديثٌ ضعيفٌ لا يَصِحُّ **. ولكن يجبُ التّنبيـهُ في الـوقت ذاته إلى صِحَّةِ حديثينِ آخرَينِ يدعمان أهميّة الدعاء كعبـادةٍ؛ حيثُ قـال رسـولُ اللـه صلَّى الله عليه وسلَّمَ: الدُّعاءُ هو العبادةُ ، ثُمَّ قرأ هذه الآيـة {وَقَـالَ رَبُّكُـمْ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَـادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِـرِينَ} (**غافر**: 60). وهذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي - رحمه الله - في سننه وحكم عليـه بأنـه حسنٌ صحيح (الألباني، **السلسـلة الصّـحيحة**، الحـديث رقم 1579، ج4، ص106-107).

أمّا الحديثُ الثاني الذي يدعم أهميَّةَ الدّعاء كعبادةٍ فهـو قولُـه عليـهِ الصّـلاةُ و السَّلامُ (أفضلُ العبادة الدُّعاءُ) (**سُنَنُ التِّرمذي**، الحديث رقم 2969، ج5، ص61). وقد أكَّدَ الشيخُ الألبانيُّ - رحمهُ اللهُ - على أنّ هذا الحديث حَسَنٌ بالرّغم من تصحيح الحاكم له. والقول بأنّ تفسير قوله تعالى: {ادعوني} الواردة في الآية السـابقة هـو (اعبدوني وأخلصوا لي العبادة) هـو القـول الـذي تبنّـاه كـلٌّ من المفسـرين الطـبري وابن كثيرٍ والقرطبيّ - رحمةُ اللـه عليهم – عنـد تفسـيرهم لهـذه الآيـة الكريمـة مـع ذكرهم للحديث الشريف السّابق (الدُّعاء هو العبادة) مُقترناً بها.

"وهذا يدلُّ على أن الدعاء عبادة، ولا شك أنه عبادةٌ من النّاحية النظريّـة فـإن الإنسان إذا دعى ربّه فقد بنى دُعاءه على أمرين، الأمر الأول: شدة حاجته إلى اللـه

عز وجل وافتقاره إليه وأنه لا ملجأ له إلا ربه تبارك وتعالى، والثاني: تعظيمه لله عـزّ وجلّ وإيمانه بأنه تعالى قادرٌ على استجابته وأنه سبحانه وتعـالى عَـالِمٌ بدعائـه وأنـه سامعٌ لدعائه وهذا عبادةٌ " (ابن العُثيمين، **الردُّ على مدى صحّة حديث "الـدعاء مخُّ العبادة"**) .

ولئن كان ما سبق إيرادهُ من الحثّ على الدعاء وأهمّيّته بشـكلٍ عـامٍ فلنـا أن نتخيَّلَ مدى الأهميّة والألمعيّة التي يتميز بها دعاؤه سبحانه وتعالى على وجهٍ طلبـه - تعالى - على وجهِ التّخصيص - ألا وهو دعاؤه بأسمائه وصفاته ولنـا كـذلك أن نتخيـل ما الذي يمكن أن نناله من أجـرٍ وثـوابٍ واسـتجابةٍ وتوفيـقٍ من اللـه تعـالى إن نحنُ فعلنا ذلك وأتقناهُ وأتينا به على الوجه الذي يريده الله تعالى.

والذي يظهرُ لي - واللهُ تعالى أعلمُ - أنـه لا يجـوز للإنسـان أن يـدعوَ بِحُصُـولِ شيءٍ أو تَحَقُّقِ مصلحةٍ أو دفعِ ضررٍ، دونَ تفصيلٍ - أو بالأصحِّ تخصـيص وتحديـد هـذا المطلوب - مع أنَّ الله تعالى يعلم ما في صدر الإنسـان وقلبـه وحاجتـه وهـو أقـربُ إليه مِن حبل الوريد على نحوِ ما ورد في الآية الكريمة*. فلا يقول العبدُ: يا عالماً بما أنا فيه. أو يقولُ: يا عالماً بمـا في نفسـي. أو يقـولُ: يـا عالمـاً بحـالي أجبْ دُعـائي. وذلك دون أن يُحَدِّدَ أو يُفصّلَ ما يريده من الله تعالى، لأنّ في هذا الوجه من الـدّعاء مخالفةً لمنهج وطريقة النبيِّ صلَّى اللـه عليـه وسـلَّم – وطريقـة ومنهج سـابقيه من الأنبياء و الرُّسُل في دعائهم الله تعالى وبالـذّات في دعائـه اللـه جـلَّ وعَلا بأسـمائه وصفاته.

المَطلبُ الرَّابعُ

مَنهجُ الأنبياء في الدُّعاء بالأسماء والصِّفات

انتهى المطلبُ السّابقُ إلى القول بأنَّ دُعاء العبدِ للهِ عَزَّ وجلَّ دونَ تحديدِ حاجته ومسألته التي يريدها يُخالفُ منهجَ النبيِّ- صلّى الله عليه وسلَّمَ - والأنبياء السّابقين له في دُعائهم الله تبارك وتعالى. ولَرُبَّما يسألُ سائلٌ: وكيف كانَ منهجُ النُّبُوَّةِ و طريق الأنبياء في دعائهم الله عزَّ وجَلَّ ؟؟ ولَعلَّ أفضل طريقةٍ في الإجابة على هذا السُّؤال تتمثَّلُ في عرضنا لأبرز دعواتهم - عليهم السّلام – اللهَ تعالى خلالَ مسيرتهم مع أقوامهم أو أهلهم.

فالنبيُّ – صلَّى اللهُ عليه و سلَّمَ - كان قد اتَّخَذَ مِن دُعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته منهجَ حياةٍ مُتكامِلاً في كُلِّ أعماله وتصرُّفاته وعبادته وتفاصيل حياتهِ. وحتَّى يتوضَّحَ ذلك لنا فإنّهُ من المُستَحْسَنِ الوقوفُ عندَ هذا الحديث الذي رواه علي بن أبي طالبٍ- رضي اللهُ عنهُ – في وصفه لبعض أعمال وطاعات رسولنا الكريم - صلَّى الله عليه وسلَّمَ – حيثُ قال: كانَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: " وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ "، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي"، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: "اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت" (**صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرُها، الحديث رقم 771). إنّ هذا الحديثَ قد جاءَ شارحاً نفسَهُ بنفسِهِ، ولا حاجةَ لهُ بِنا ولا حاجةَ لنا به لِيَتِمَّ التّعليقُ عليه؛ حيث أنَّهُ كفانا ذلكَ في توضيحهِ لكيفيّة كونِ الدُّعاء

بالأسماء والصِّفاتِ منهجاً في حياة الحبيب – صلّى اللهُ عليه وسـلَّمَ – وبالتـالي يجبُ أن يكونَ منهج حياةٍ لنا؛ لأنَّهُ قُدوتنا ونحن مأمورون باتِّباعه..

ولنَذكُر مثالاً آخَرَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ تَهَجَّدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْـدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُـكَ الْحَـقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَـمْتُ، وَإِلَيْـكَ حَـاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَـهَ إِلا أَنْتَ وَلا إِلَـهَ غَيْـرُكَ (العسـقلاني، **فتح الباري**، كتـاب التهجّـد، الحـديث رقم 1069). وها هو - صلّى اللهُ عليـه وسـلَّمَ – يُعلِّمُ النّـاس أن يسـتغفروا ربَّهم الغفـورَ الغفَّارَ بِدُعاءٍ سَمَّاهُ "سَيِّد الاستغفار"، وهوَ: اللَّهمَّ أنتَ رَبِّي لا إله إلاّ أنْت، خَلقَتَني وأنا عَبدُكَ، وأَنا عَلى عَهدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطعْتُ، أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مـا صَـنعْتُ، أبـوءُ لـكَ بِنِعْمَتِكَ عَليّ، وأبوءُ لكَ بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ. قال: مَن قالَهـا مَنِ النَّهارِ مُوقِنَاً بها فماتَ مِن يومِهِ قبلَ أن يُمسِـيَ فَهُـوَ مِنْ أَهْـلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قَالَهـا مِن الّليلِ وهو مُوقِنٌ بِها، فَماتَ قبل أن يُصبِحَ فَهُو مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ" (العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب الـدّعوات، الحـديث رقم 5947). ولنـذكر أخـيراً هـذا الـدُّعاء العظيمَ الذي يُعلِّمُ فيه النّبيُّ الكريمُ أُمَّةَ الإسلام كيف تُذهِبُ همومَها وأحزانَها وضيقَها بِـدُعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى؛ فيقولُ: "مَا قَالَ عَبْـدٌ قَـطُّ إِذَا أَصَـابَهُ هَمٌّ وَحَـزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُـكَ، عَـدْلٌ فِيَّ قَضَـاؤُكَ؛ أَسْـأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِـهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْـدَكَ؛ أَنْ تَجْعَـلَ الْقُـرْآنَ رَبِيـعَ قَلْبِي وَنُـورَ بَصَـرِي وَجَلاءَ حَـزَنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حَزَنِهِ فَرَحًا". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَـا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَــؤُلاءِ الْكَلِمَــاتِ ؟ قَــالَ: " أَجَــلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَــمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ " (الألباني، **السلسلة الصّحيحة**، الحديث رقم 200، ج1، ص387).

وفي ختـام الحـديث عن منهجِـه – صـلَّى اللـهُ و سـلَّمَ – في دوام دُعـاء اللـه تعالى بأسمائه وصِفاتِهِ بأنْ نذكُرَ أنَّهُ كان على الدَّوام يحثُّ الصّحابةَ الكـرامَ – رضـي اللهُ عنهم – على دعاء الله تعالى باسمه وبصِفَتِهِ "ذي الجلال والإكرام" فيقـول لهم: أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام" (**مُسـنَدُ الإمـام أحمد**، الحـديث رقم 17596، ج29، ص138). ومعنى أَلِظُّوا في هذا الحديث هو "إلزَمُوه واثبتوا عليـهِ وأكثِـروا مِن قَولِـهِ والتَّلَفُظِ بهِ".

أمَّا عن منهج الأنبياء في دعاء الله تعالى بأسـمائه و صـفاته فإنّنـا نسـتطيع أن نتلمَّسَ بعض معالمـه من خلال مـا سـجَّلَهُ وحَفِظَـه لنـا القـرآنُ الكـريمُ من النّمـاذج والأدلّة والشواهد التي تُنِيُر لنا الدَّرب في هذه المسألة، وقبلَ مباشرة هذه الشّـواهد والأدلّة نَراناَ نستجمِلُ الحديثَ عَن مشهَدٍ من مشاهد الآخرة يُذَكِّرُ اللهُ عَزَّ وجَـلَّ فيـه أهلَ النّار باسـتهزائهم بعبـاده المؤمـنينَ الـذين دعـوه في الحيـاةِ الـدُّنيا دعـاءً جليلاً عظيمـاً بأسـمائه وصـفاتِهِ " خـير الـرّاحمين، " فاسـتجابَ لهم وغفـرَ لهم ورَحِمَهُم وجَعَلَهُم مِن أهل الجنّةِ، وجَعَلَ المُستَهزئينَ بهم من أهلِ النّار. قال تعالى: "قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَـا مِنْهَـا فَـإِنْ عُـدْنَا فَإِنَّا ظَـالِمُونَ قَـالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَـوْكُمْ ذِكْـرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْـحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ " (**المؤمنون** : 106-111).

ومن اللطيـفِ المُلفِتِ للنَّظـرِ في سـورة "المؤمنـون" الـتي وردَ فيهـا هـذا المشهدُ والدُّعاء الجليلُ أنَّ الله تعالى قد أَمَرَ نبِيَّهُ مُحمّداً – صلّى الله عليـه وسـلَّم – بعد هذا الدُّعاء بأسمائه الحُسـنى أن يـدعُوَه – تعـالى – ويتوسَّـل إليـهِ بِنَفس الاسـمِ والصِّفةِ التي دعـاه وتوسَّـلَ إليـه بهـا المؤمنـون الـذين تحَـدَّثَتْ عنهم آيـات السُّـورة الكريمة ألا وهي "خير الرّاحمين"؛ فقـال تعـالى: "وَقُـل رَّبِّ اغْفِـرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْـرُ الرَّاحِمِينَ" (**المؤمنون**: 118).

وفي الحـديث عن منهج بعض الأنبيـاء والرُّسُـلِ الكـرام – عليهم السَّـلام- في دُعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصِفاته العُلا فإنّهُ من الجدير التوَقُّفُ عندَ محَطَّتينِ هامَّتينِ يتّوضحُ من خلالهما مدى استمساك الأنبياء والرُّسُلِ الكِـرامِ بمنهج دعـاء اللـه تعالى بأسمائه وصفاتِهِ:

المحطَّةُ الأولى: دعا إبراهيم وإسماعيل – عليهمـا السّـلامُ- اللـهَ تعـالى أن يتقبَّل منهما عملهما الصالح وطاعتهما امتثالهما لأمره بإعادة بناء الكعبـة وأن يُريَهمـا مناسكهما وأن يُصلِحَ لهما ذُريّتهما والأمّةَ التي ستنبثُ منها... كلُّ هذا الـدّعاء العظيم كـان مقرونـاً بالعديـد من أسـمائه الحُسـنى وصـفاتهِ العلا ؛ قـال تعـالى: "وَإِذْ يَرْفَـعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِـدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّا ۝ إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَـا ۝ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الـرَّحِيمُ رَبَّنَـا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (**البقرة** : 127-129). لقد استخدم هـذا النبيَّان الكريمان في دُعائهما السّابق سـتَّةً من أسـماء اللـه الحُسـنى هي: "السـميع

والعليم والتّوَّاب والرَّحيم والعزيز والحكيم". فكانت الاستجابة الربّانيَّة لدعائهما الـتي لا زلنا نلمسُ آثارها إلى يومنا الحاضر...

المحطّةُ الثّانيةُ: لَمَّا تقَدَّمُ العُمرُ بنبيِّ الله زكريّا وكسا الشّيبُ رأسه وهـو لا وَلَدَ ولا ذُرِّيَّةَ له، دعا اللهَ سبحانه وتعالى باثنين من أسمائه الحُسنى وصفاتِهِ العُلا أنْ يرزقَهُ الولدَ والذّرّيّةَ فاستجاب لـه اللـهُ تعـالى وأكرمَـهُ وزوجَتَـهُ بـذلك. قـال تعـالى: "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَـمِيعُ الـدُّعَاءِ" (**آل عمران** : 114).

وقال تعالى على لسانِ زكريّا: "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَـادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَـذَرْنِي فَـرْدًا وَأَنتَ خَيْـرُ الْـوَارِثِينَ" (الأنبيـاء : 89) وهــذا الدُّعاءُ الطّيِّبُالمبــارَكُ الثَّاني لزكريّـا - عليه السلام - عقبَ الدُّعاء الأوّل له، فذاكَ جاءَ بلفظِ حصول المَطلـوب الـذي يرغبُـهُ وهو الوَلَـد بصـيغَةِ الطَّلَبِ، وهذا الـدُّعاء الثَّاني جـاءَ بِطَلَبِ عـدمِ وقـوعِ ما يكرهُـه في أن يكونَ فَـرداً دونَ وَلَـدٍ، " وهوَ (أيْ :الـدُّعاء) مُتَضَـمِّنٌ لسـؤال اللَّهِ تعـالى أن يرزقَـه وَلَداً، وكلا الدُّعائين فيهِ مِن كمـال الأدبِ وحُسنِهِ في سـؤال ربِّ العـالمينَ كما تـرى، والعبدُ يَتَخَّيَر في مُناجاةِ مَلِـكِالمُلـوكِ الوسـائلَ النَّبيلةَ الـتي تَليقُ في الثَّنَـاءِ والطَّلَبِ على ربِّهِ الكـريمِ. ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَـرْداً**﴾ دعَـا ربَّهُ دُعـاءً خَفِيَّاً مُنيبـاً قـائلاً: ربّي لا تَترُكني وحيداً بِلا وَلَدٍ ولا وارثٍ. ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾: أيْ أنتَ خيرُ مَن يبقى بعدَ كُلِّ مَن يموتُ، و في هذا الدُّعاءِ مَدحٌ له تعالى بالبقـاءِ، وإشـارةٌ إلى فنـاءِ مَن سِـواه مِن الأحياء، وفي ذلك اسـتمطارٌ لِسَـحائِبِ لُطفِـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ و تَوَسُّلٌ إليه بما يُنَاسبُ مَطلوبَه باسمه تعالى: ﴿**خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾، بل أتى على وزن (أفعَل) للتَّفضِـيل زِيـادة في المُبالغةِ في الثَّنَـــاء على اللَّه تعـــالى، استِعطَافاً للإجابـــة. فاســتجابَ ســُبحانه وتعالى لدُعائهِ، وَرَزَقَهُ نبيَّاً صالحاً سـمَّاهُ اللَّهُ تعـالى ﴿**يَحْيَى**﴾ عليه السـلام وجَعَـلَ امرأتَهُ وَلُوداً، بعد أن كانت عَـاقراً، دلالةً على كمـال قُدرته سـبحانه وتعـالى الـذي لا يُعجِـزه شـيءٌ في الأرض ولا في السـماء" (ابن مقـدم، **شرحُ كتـاب الـدُّعاء من الكتاب والسُّنة**، ص124).

ولَعَلَّنَا - من خلال ذلك - نستطيعُ أن نفهم الحكمـة من وجـوب ربـط الحاجـة - عند الدعاء - باسم الله تعالى الذي عنوانٌ لها والله مُختصٌّ بها ومثـال ذلـك أن نـدعو قائلين: يا الله يا رزّاق إبسط لي الرزق، يا غفّار اغفر لي الـذنب (الفُلاني) يـا وهّـاب هبْ لي قرة عينٍ من ذُريتي، يا لطيف ألطف بعبدك (فلان) وخفّف عنه وقع مصيبته، يا كاشف اكشف عنّي الكُربة (الفلانيّة)، يا حافـظ احفظـني وأهلي من الشـرِّ والأذى والعين والحسـد ومن كـلِّ ذي شـرٍّ لا نطيـق شـره، يـا شـافي اشـفني من المـرض

(الفلاني) ... وما إلى ذلك من الدعاء المفصلة فيه الحاجات المرتبطة باسم الله تعالى الذي هو عنوانٌ لها وهو مُختصٌ بها. والله تعالى أعلم.

وأحياناً يكون عرضُ الإنسان لحاله ولِمَا هو فيه مِن الضّعفِ أثناء جلوسه أو قيامه بين يَدي الله تعالى بمثابة الدعاء الذي لا يعلم مضمونه وتفاصيله إلَّا المولى العالم المحيط بدقائق الأمور جلَّ وعَلا.

"وقد تتداخل الأساليب مع المضامين وتتقاطع، فمثلاً أن ندعوه تعالى بأنه أرحم الراحمين بين يدي دعائنا هو أسلوب، ولكنَّه كان هو مضمون الدعاء في دعاء أيوب عليه السلام لربه؛ قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (**الأنبياء** : 83، 84)، قال المُفَسِّرون: "لم يُصَرِّحْ أيوبُ بالدُّعاء، ولكنَّه وَصَفَ نفسَه بالعجز والضّعف، ووَصَفَ ربَّه بغاية الرحمة ليرحمَهُ، فاستجاب له الله تعالى" (الصّابوني، **صفوة التفاسير**، ص184). وهكذا فأنتَ تدعو الله تعالى بصفاته وأسمائه، تسأله من فضله، وأن يُؤتيك سُؤْلَكَ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ التسبيحَ بحمده يُمكن أن يكون دعاءً، والاستغفارُ دعاءً، والاسترحامُ دعاءً" (النّحلاوي، **الدُّعاء ببساطة**، ص7).

ومن اللطائف في موضوع "دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته" أنّ هذا الدُّعاء "مَجَّانِيٌّ" ليست له تكاليفُ مادِّيّةٌ، وأنّه سهلٌ يسيرٌ يقدرُ على القيام به كلُّ كبيرٍ وصغيرٍ، وأنّه وبالرغم من مجَّانيّته وسهولته نراهُ يفسح للعبد - عند الاستجابة - أبواباً من الرزق والخير والتوفيق والنجاح ما لا يعلمه إلَّا اللهُ مما لو أنفق الإنسان عمره كاملاً لما بَلَغَ مِعشاره بمجهوده واعتماده على قدراته الذاتيّة وإمكاناته المحدودة، ولكنَّه عطاءُ الله تعالى الذي علَّمَنَا سبحانه كيف ندعوه وبِمَ ندعوه حتّى ننال ممّا تقدم ذِكره من الرّجاء والأمنيات، ولكنّ الناس يستعجلون وبعضهم لا يعلمون وبعضهم دعائه مَعرِضون!! مع أنهم لهم أجرٌ وثواب لمجرد توجههم بالدعاء لله تعالى وتركهم لدعاء غيره!!

توصَّل البحث إلى النتائج التالية:

- لا يجوزُ أن يُدعَى اللهُ تعالى بغير أسمائه الحُسنى وصفاته العُلا.
- ينقسمُ دعاء الله تعالى بأسمائه الحُسنى إلى دُعاء ثناءٍ وعبادةٍ ، ودُعَاءِ مسألَةٍ وطَلَبٍ.
- يجوز التوسُّلُ إلى الله تعالى بِصِفِاتِه العُلا.

- ضرورة التفريق بين دعائه تعالى بأسمائه وصفاته وبينَ دُعاء الصِّفات بِعَينِهَا.
- دعاءُ الله تعالى بأسـمائه الحُسـنى وصـفاته العُلا كـان منهجَ النـبيِّ صـلى الله عليه وسلم ومنهجَ الرُّسُلِ الكِرامِ - عَلَيهم السَّـلَامُ - في حيـاتهم والتَّعامُـلِ مع أقوامهم.
- يكمُنُ المنهجُ العَمَليُّ التَّطـبيقيُّ للـدُّعاءِ بالأسـماء الحُسـنى والصـفات العُلا في التَّعَبُّدِ بها في حياة المسلم.
- غيابُ الجانِبِ العَمَليِّ التَّطبيقيّ عن دُعاء اللهِ تعالى بأسـمائه الحُسـنى خطـيرٌ جدّاً ويَتَرَتَّبُ عليهِ تَعطِيلُها.

التَّوصيات

توصي الدراسةُ بأن يُفرِدَ الدَّارسون لهذا الموضـوع والمهتمـون به مزيـداً من المؤلَّفات والكتابات في كيفية التطبيق العمليِّ للدعاء بالأسـماء والصِّـفات والتَّعبُّدِ بها في حياتنا.

قائمة المصادر والمراجع

الألبـــاني، محمد ناصر الـــدّين، (ت: 1420هـ/1999م)، **سِلســـلةُ الأحـــاديث الصّحيحة وشيءٌ مِن فِقهها وفوائدها**، الرياض، مكتبة المعـارف، ط1، ج 1.

الألبـاني، محمد ناصر الـدّين، (ت: 1420هـ/1999م)، **صـحيحُ الجـامعِ الصَّـغير وزيادتهُ**، عمان، المكتب الإسلامي، ط1، ج1.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ/870م)، **صحيحُ البخاري**، تحقيق محمد زهير الناصر، النسخة المحوسبة للمكتبة الشاملة.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هت/1328م)، **تلخيصُ الاســـــتغاثة، (المعــروف بـــ الــرَّدُّ على البَكــري)،** تحقيق محمد علي جمـــال، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثريّة، ط1، ج1.

ابن العُــثيمين، محمد بن صــالح (ت: 1421هـ/2000م)، **القــولُ المُفيد على كتــاب التَّوحيد**، الريــاض، دار العاصــمة، ج2، ص316، النســخة المحوســبة المنشورة في موقعه الإلكتروني.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد اللــه، (ت: 543هـ/1148م)، **أحكامُ القــرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، ج2.

ابن قيم الجوزيّة، محمد بن أبي بكـــر، (ت: 751هـ/1350م)، **بـــدائعُ الفوائد**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1980.

ابن مقدم، ماهر عبد الحميد، **شرحُ كتابِ الدُّعاء من الكتابِ والسنة**، النُّسخة المحوسبة المنشورة على موقع الألوكة سنة 2009.

ابن منظــور، جمــال الــدّين بن محمـــد، (ت: 711هـ/1311م)، **مُعجم لســـان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، ج5.

الترمــذي، محمد بن عيســى، (ت: 279هـ/892م)، **الجــامعُ الكبــيرُ المُســمَّى (سُنَن الترمذي)**، تحقيق بشّار عوّاد.

الحَمَدُ، محمد بن إبراهيم، **بَيْنَ دُعاءِ المسألة ودعاءِ الثَّنــاء**، فتــوى صــادرةٌ عنه ومنشـورةٌ بتـاريخ 21/4/2004، في الموقع الإلكـتروني فهـرس خزانة الفتـاوى والرقائق والأذكار على الرابط الإلكتروني: www.islamtoday.com

الخطَّابي، حمد بن محمـــد، (ت: 388هـ/988م)، **شَـــأنُ الـــدُّعاء**، تحقيق أحمد يوسف الدقّاق، بيروت، دار الثقافة العربية، ط3.

الـرّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الـرازي (تـوفي 606هـ/1209م)، **مفـاتيح الغيب أو " التفسير الكبير"** ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، ج2، ص305.

السَّـعدي، عبد الـرحمن بن ناصـر، (ت: 1376هـ/1956م)، **تيسـيرُ الكـريم الرحمن في تفسير كلام المَنّان**، تحقيق عبد الـرحمن اللويحـق، الريـاض، مؤسّسة الرسالة، ط1، ج1.

الشّـيباني، أحمد بن محمد بن حنبـل، (ت: 241هـ/855م)، **المُسـنَد**، تحقيق الألباني، الرياض، مكتبة الرسالة، ط1، ج17.

الصّـابوني، محمد علي، **صَـفوةُ التَّفاسـير**، بـيروت، المكتبة العصـرية، تفسـير سورة الأنبياء.

العَسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (ت: 1371هـ/1449م)، **فتح الباري بشرح صحيح البخـاري**، كتـاب الأيمـان والنُّذُور، بـاب الحلف بعـزّة الله وصـفاته، ص 554.

القزويـني، أحمد بن فـارس، (ت: 395هـ/1004م)، **مُعجم مقـاييس اللُّغة**، بيروت، مكتبة دار الفكر، النُّسخة الإلكترونيّة المحوسبة، ج2.

النّحلاوي، غُنية عبد الرحمن، **الدعاء ببساطة**، دراسة منشورة بتاريخ 5/1/2016 في موقع الألوكة العلمي على الرابط: www.alukah.net

النّسائي، أحمد بن شعيب بن علي، (ت: 303هـ/915م)، **السُّنَنُ الكُبرى**، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، ج7، ص156، الحديث رقم (7690).

النيسابوري، مسلم بن الحجَّاج القُّشـيري، (ت: 261هـ/875م)، **صـحيحُ مُسـلم**، كتـاب الصـلاة، بـاب ما يُقـال في الركـوع والسـجود، بـيروت، دار إحيـاء الكتب العربية، النسخة المحوسبة للمكتبة الشاملة.

References

Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din, (D. 1420 AH / 1999 AD**), A series of authentic hadiths and some of their jurisprudence and benefits**, Riyadh, Al-Maaref Library, 1st edition, Part 1.

Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din, (D. 1420 AH / 1999 AD), **Saheh Al-Jamithe small and its increase**, Amman, Islamic Office, 1st edition, Part 1.

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail, (D. 256 AH / 870 AD**), Sahih al-Bukhari**, Muhammad Zuhair al-Nasir investigation, computerized version of the comprehensive library.

Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim, (D. 728 AH / 1328 AD), **summarizing the distress (known as the response to al-Bakri)**, Muhammad Ali Jamal investigation, Medina, Al-Ghuraba Archaeological Library, 1st edition, Part 1.

Ibn al-Uthaymeen, Muhammad ibn Salih (D. 1421 AH / 2000 AD**), the useful statement on the Book of Tawheed**, Riyadh, Dar al-Asimah, vol. 2, p. 316, the computerized version published on his website.

Ibn al-Arabi, Abu Bakr Muhammad bin Abdullah, (D. 543 AH / 1148 AD**), the provisions of the Qur'an**, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami, 3rd edition, part 2.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr, (D. 751 AH / 1350 AD**), Bada'i al-Fawaed,** Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, i 1, 1980.

Ibn Muqaddam, Maher Abdel Hamid, **Explanation of the Book of Supplication from the Book and the Sunnah**, the computerized version published on the Aluka website in 2009.

Ibn Manzur, Jamal al-Din bin Muhammad, (D. 711 AH / 1311 AD**) Tongue of the Arabs**, Beirut, Dar Sader, 3rd edition, Vol. 5.

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa, (D. 279 AH / 892 AD**), Saheh Al Jami The Big (Sunan Al-Tirmidhi)**, investigation by Bashar Awad.

Al-Hamad, Muhammad bin Ibrahim, **Between the supplication of the matter and the supplication of praise**, a fatwa issued by him and published on April 21, 2004, on the website of the

index of the fatwa, chips and remembrances treasury on the website: www.islamtoday.com

Al-Khattabi, Hamad bin Muhammad, (D. 388 AH / 988 AD**), Concerning the supplication**, investigation by Ahmed Yusef al-Daqqaq, Beirut, Arab House of Culture, 3rd edition.

Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi (D. 606 AH / 1209 AD), **Keys to the Unseen or the Great Interpretation**, Beirut, House of the Arab Heritage Revival, 3rd edition, part 2, p. 305.

Al-Saadi, Abd al-Rahman bin Nasser, (D. 1376 AH / 1956 AD), **Facilitating the Noble Qur'an in interpreting the words of mannan**, investigation by Abd al-Rahman al-Luhaiq, Riyadh, Al-Risala Foundation, i 1, c 1.

Al-Shaibani, Ahmad bin Muhammad bin Hanbal, (D. 241 AH / 855 AD),**AL -Musnad**, al-Albani investigation, Riyadh, Al-Risala Library, 1st edition, vol. 17.

Al-Sabouni, Muhammad Ali**, Safwat al-Tafaseer**, Beirut, Modern Library, Interpretation of Surat al-Anbiya.

Al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Hajar, (D. 1371 AH / 1449 AD), **Fath Al-Bari explaination of Saheh Al-Bukhari**, Book of Faith and Vows, Book of the Alliance with God's Glory and Attributes, p. 554.

- **Al-Qazwini**, Ahmad ibn Faris, (D. 395 AH / 1004 AD), **Dictionary of Language Standards**, Beirut, Dar Al-Fikr Library, Computerized Electronic Copy, Part 2.
- **Al-Nahlawi**, Ghoniah Abdul Rahman**, The supplication simply**, a study published on January 5, 2016 in the scientific Al-Luka website at the link: www.alukah.net
- **Al-Nisaei**, Ahmad bin Shuaib bin Ali, (D. 303 AH / 915 AD), The Great Sunan, Hassan Abdel-Moneim Shalaby investigation, Beirut, Al-Risala Foundation, I 1, C 7, p. 156, Hadith No. (7690).
- **Al-Nisaburi**, Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushairi, (D. 261 AH / 875 AD), **Saheh Muslim**, Book of Prayer, Chapter on what is said in bowing and prostrating, Beirut, House of Revival of Arabic Books, the computerized version of the comprehensive library.